تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الأنثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد إلا تحت الأرض خوفا على أولادها من الإنسان وتحفر تحت الأرض الحفائر القوية حتى أنها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهي تحضن الأولاد إلى عشرين يوما ومن طبعه إنه أبله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة نزوة يصرخ الذكر والأنثى كالسنانير فإدا وقع منع الإنزال وقع على الأرض قليل الحركة وعند سفاده تدير له وجهها فإذا ملكها بعد ذلك فإنها تجري به وهو راكب عليها ويجري معها

فائدة ذكر ابن الأثير في الكامل أن صديقا له أصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج وقيل التقطت الأرنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يتخاصمان إلى الضب فقالت الأرنب يا أبا حسل فقال

سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا وحكيما قالت فاخرج إلينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت إني وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت اختلسها الثعلب قال لنفسه بغي الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا
ومن ذلك ما حكي أن عدي بن أرطأة أتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أين أنت ؟ قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال إني تزوجت امرأة قال بالرفاه والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت ؟ قال على ابن أمك قال بشهادة من ؟ قال ؟ بشهادة ابن أخت خالك
الخواص قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا

سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وإن شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وإن شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى وإن علقت عليها زبلها لم تحمل والأرنب البحري من السموم فلا يحل أكله
دابة شكلها كالوزغة إذا أخذت (سقنقور) وسلخت وملحت وشربت منها مثقال زاد في الباه وهر من الأشياء النفيسة عند أهل الهند يقال إنه يهدى إليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فإذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الأفعى) الأنثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والأسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها أنها لدغت إنسانا في رجله فانصدعت جبهته
وحكي أنها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان ؟ فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق

الأعناق صغار الأذناب مقلصة الرؤوس رتش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل إنها تتدفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الأخضر فتحك عينيها به فيرجع إليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشري إذا عميت الأفعى بعد ألف سنة ألهما الله تعالى أن تأتي البساتين وتلقي نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل إذا قطع ذنبها عاد منا كان وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أعدي عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل إذا قطع ذنب الحية تعيش إن سلمت من الذر وقيل إن بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل إن جلدها ينسلخ عنها في

كل سنة مرة وقيل إن الجلد لا ينسلخ وإنما

الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد أضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى إلا نادرا ومن عجيب أمرها أنها لا ترد المرء ولا ترده ولكنها إذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لأنها إذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وإنما تقيم الأنثى لأجل فراخها حتى تكتسب قوة فإذا قويت أخذتهم وإنسابت فأي جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور وإذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا وإذا دخلت بصدرها في جحر لا يستطيع أقوى الناس إخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وإنما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها

وحكى عمر بن يحيى العلوي قال كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق العرب أن سرقوا منا فطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال إن العرب لما أخذوني

جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك إذ أتوا يوما بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤوسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء إعتادوها فلا تضرهم فلعلي إن أكلت منها مت فاسترحت
فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة
فائدة قيل إن الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وإنما وجد في زمانه وسببه أن كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته إذا

جاءته حية فانسابت ين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذي يشتكي فأراد

بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها إلى المكان الذي تريده قال فجاءت إلى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فإذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بزر فنثرته بين يدي الملك وذهبت فقال الملك إنها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الأرض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به إلى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ لطيفة من غريب ما اتفق لعماد الدولة أنه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عندهم ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك وإذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فإذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر بإخراجه وإنفاقه على عسكره

ومن ألطف ما اتفق له أيضا أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لأنه هو الذي يخيط للملوك قال فتوهم الأطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة قال له إن فلانا الملك لم يدع عندي سوى اثني عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الأسباب من دلائل السعادة له وأمر النبي بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت

فالانذار لها متعين وفي الحديث " من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى إلى فراشه فلينظفه الخواص يقال أن دمها يجلو البصر وقلبه إذا علق على إنسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها إذا علق على من به وجع الضرس سكن الأيمن للأيمن والأيسر للأيسر

ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الأمراض الصعبة
وتسميه الرماة الأنسية لأنه من (الأنيس) طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الأنهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري (الأوز) طير السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح
الخواص في جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب إذا طلي به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد إلا أنه بطيء الهضم (الإيل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش وإذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك وإذا لسعته حية ذهب إلى البحر فأكل السرطان فيشفى خواصه إن السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جدله ليراهم السمك فيأتي لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نفرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى

بالبنزهير الحيواني وأجوده الأصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس وإذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وإن وضعه الملسوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه إلا بعد سنتين وينبتان في أول الأمر مستقيمين

ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد إلى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما في كل سنة مرة ثم ينبتان قال أرسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والأصوات المطربة فإنه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فإذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذي يزيد في السمن فإذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله
الخواص إذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التي فيه وإذا أحرق واستاك به الذي به صفرة الأسنان زال ذلك عنه ومن علق

عليه شيء منه ذهب نومه ومن خواصه أن دمه يفتت الحصاة التي بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
كنيته أبو(باز)(حرف الباء الموحدة)
الأشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزويني إنها لا تكون إلا أنثى وذكرها من غيرها إما من جنس الحدأة أو الشواهين ولأجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازي والباشق والشاهين والبيدق والبقر والبازي آخرها مزاجا لأنه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والأشجار المتسعة والظل والظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لأنه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر
لو استضاء المرء في إدلاجه ... بعينه)
ودونه الأزرق الأحمر(كفته عن سراجه العينين والأصفر دونهما ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما

لطيفة من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتي وفي فمه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال إن الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (باله) سمكة عظيمة قال القزويني يقال إن طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض لأحايين لأصحاب المراكب فإذا رأوها طبلوا بالطبول حتى أنها تنفر لأن لها جناحين كالقناطر إذا نشرتها أغرقتهم فإذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها ولا خلاص لها منهافتنزنل إلى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح إلى الساحل فيأخذها أهله ويشقون

جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الأخضر والرمادي والأصفر والأبيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها حكي أنه أهدي لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال إن نوعا منها يقرأ القرآن
الخواص من أكل لسانها تفصح وإذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بج) طائر أبيض اللون يميل إلى الصفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (يح) طائر لطيف يأوي أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا إلا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي ركبه وكذا عمر رضي الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا أعلم والله علمك هذه الحيلاء ولم

يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الأخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول
لصاحب الأحباس برذونة ... بعيدة العهد (عن القرط
إذا رات خيلا على مربط ... تقول سبحانك (يا معطي
تمشي إلى خلف إذا ما مشت ... كأنما (تكتب بالقبطي
الخواص إذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت وإذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدي وأبو وثاب وهو يثب إلى ورائه
حكي أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لا سيما في الأماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال أنه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتي أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره

ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يفلي ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني ... لا بارك) (الله في ليل البراغيث

كأنهن وجلدي إذ خلون به ... أيتام سوء) وقال أبو الرماح (أغاروا في المواريث الأزدي

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن ...) (بوادي الغضى ليلي علي يطول

تؤرقني حدب قصار أذلة ... وإن الذي) (يؤذينه لذليل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 224]

إذا جلت بعض الليل منهن جولة ... تعلقن) (في رجلي حيث أجول

إذا ما قتلناهن أضعفن كثرة ... علينا ولا) (ينعى لهن قتيل

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... وليس) وقال ابن أيبك (لبرغوث علي سبيل

الصفدي
أشكو إلى الرحمن ما نالني ... من)
(البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا ... أني تقنعت)
ولا يسب البرغوث لما ورد (بطيف الخيال
أن النبي سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا
تسبه فإنه أيقظ نبيا إلى الصلاة الفجر
فائدة سئل مالك عن البرغوث من يقبض
روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله
يتوفى الأنفس حين موتها ولقد شكا
عامل افريقية إلى عمر بن عبد العزيز شر
الهام فكتب إليه إذا أوى أحدكم إلى
فراشه فليقرأ (وما لنا ألا نتوكل على الله
) الآية وقال حنين بن إسحاق الحيلة في
دفع البرغوث أن تأخذ شيئا من الكبريت
فتدخن به في البيت فإنها تفر من ذلك
وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل
مشاق المراكب يحرق في البيت مع قشور
النارنج (بعوض) قيل إنه أكثر أعضاء منه
فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة
ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم
مجوف نافذ فإذا طعن به جسد إنسان
استقي الدم وقذف به إلي جوفه فهو له
كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى
أنه إذا جلس على عضو انسان يتبع مسام

العروق فإنها أرق وأسرع له في اخراج الدم وعنده شره في مصه حتى قيل إنه لا يمص شيئا فيتركه باختياره إلى أن ينشق أو يطار ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض إن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها إذا طعنت في ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 225]

أقول لنازل البستان طوبى ... لعيشك لم) تشك فيه البعوض
يململه فليس له قرار ... ويثخنه فليس له) نهوض
حماه قرصه وطنينه أن ... يبيت وعينه) فيها غموض
كأنك حين تهدى بالأغاني ... تكر وفي) مسامعك العروض
ومن الحكم التي أودعها الله تعالى إياها

أن جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا وعروقا ومخا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيئا سدى وقال الزمخشري في تفسير سورة البقرة في ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في) ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها ... والمخ) من تلك العظام النحل

ويرى خرير الدم في أوداجها ... متنقلا) من مفصل في مفصل

ويرى وصول إذا الجنين ببطنها ... في) ظلمة الأحشا بغير تمقل

ويرى مكان الوطء من أقدامها ... في) سيرها وحثيثها المستعجل

ويرى ويسمع حس ما هو دونها ... في) قاع بحر مظلم متهول

امنن علي بتوبة تمحو بها ... ما كان مني) معروف وكنيته (بغل) (في الزمان الأول أبو قموص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن علي كرم الله وجهه أنها

كانت تتناسل فدعا عليها إبراهيم الخليل لأنها كانت تسرع في نقل الحطب لنار

المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لأنه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار
الخواص يقال إن حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار إذا بخر به البيت وإذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله إذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر
هو حيوان شديد القوة خلقه الله (بقر) تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيون انائه أرق أصواتا من ذكوره إلا البقر وأنثاه يضربها الفحل في السنة مرة وإذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت وإذا طلع عليها الفحل التوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على

ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكي في الأحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فمر عليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال لها بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها
فائدة ذكر ابن الفضل في كتاب عن وهب ابن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الأرض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وافواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره

وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن

يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهاء ثم جعل الهواء على ماء ايضا ثم جعل الماء على الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق
الخواص شحم البقر إذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب وإذا طلي به إناء اجتمعت البراغيث إليه وإذاشرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها إذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى
ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وإذا طلي به عل الأثر الأسود في البدن ازاله وخصيه الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فانها تزيد في الباه وشعرها إذا احرق واستيك به نفع من وجع الاسنان وإذا خلط مع السكنجيين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل

ير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البرمة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لأنها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها الخواص من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فإذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم ما دام في يده وعكسها المغموضة وإذا أردت معرفة ذلك فالقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة وإذا أخذ قلب البومة وجعل على الي اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع بجميع ما فعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة إلى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتجخهل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذل العام متوسط الخصب وان أمسكت اثنتين كان كثير الخصب وإن لم تمسك شيئا كانت السنة مجذبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي

حيوان عجيب على (**تمساح**) (**حرف التاء**)

صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيره وهي انثى في

ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد إلا بنيل مصر وقال المسافرون أنه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع إلى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازه

مجازاة التماح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فإذا أفرخ فما صعد لجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الأسفل لا يستطيع تحريكه لأن فيه عظما متصلا بصدره وإذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها إلى البر وقلبها وجامعها فإذا قضى حاجته قلبها ثانيا لأنه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك إلا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتبلط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فإذا حصل في جوفه ذاب ا عليه من سخونة بطنه فيعمد إلى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله

الخواص عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه إذا قطر في أذن من به صم نفعه

ضرب من الحيات وهو طويل (تنين)

كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف

يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه

فيستغيث منها إلى ربه فيأمر الله تعالى بإلقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بإلقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول يسلط الله على الكافرين في قبره تسعه وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا نفخ على الأرض ما نبتت فيها خضراء

وهو معروف ذو مكر (ثعلب) (حرف الثاء)

وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك أن يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد

ومن حيلته انه إذا تعرض للقنفذ نفش

القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحباري
ومن لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلا قليلا حتى تجمتع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج وفروه أدفى الفرا وفيه الأبيض والرمادي وغير ذلك وذكر في عجائب المخلوقات أنه أهدى إلى أبي منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الانسان منه نشرهما وإذا بعد لصقهما
لطيفة ذكر ابن الجوزي في آخر كتاب الأذكياء والحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن الشعبي أنه قال مرض الأسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الأسد إذا حضر فاعلمني فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الأسد أين كنت يا أبا الفوارس ؟ قال كنت أتطلب لك الدواء قال وأي شيء أصبته ؟ قال قيل لي خرزة في عرقوب أبي جعد قال فضرب الأسد بيده في ساق الذئب

فأدماه ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف الأحمر

قعدت عند ملوك فانظر ما يخرج منك فإن المجالس بالأمانات وقيل خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الأسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لي والغزال لأبي الحرث والضب للثعلب فضربه الأسد في فرضخمها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لأبي الحرث يتغذى به والغزال لأبي الحرث يتعشى به والضب لأبي الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الأسد لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمني التاج الأحمر الذي ألبسه هذا وأشار إلى الذئب
وحكي أن الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة ؟ فقال إن الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى

الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتي لنصلي ؟ فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوءا وأرجع
ومن العجيب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها
والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل
والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع
الخواص رأسه إذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشهد على الصبي بحسن خلقه ومرارته تجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شيء للمربوط ودمه إذا جعل على رأس أقرع نبت شعره لذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو انثى وهو عجيب الشأن في هلاك بني آدم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو إلا النمس ولولا النموس لأكلت الثعابين أهل مصر

لطيفة قيل إن عبد الله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيا كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤوسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم وإذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الأحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحل وعلم الشق وذهب إلى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله لقد كنت أستظل بجفنة عند عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيئا ؟ قال لا لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

حيوان معروف وليس (جراد) (حرف الجيم) له جهة مخصوصة وإنما يكون هائما هاربا وإذا أراد أن يبيض ذهب إلى بعض الصخور فضربها بذنبه فتنفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا إبل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهومن الحيوان الذي ينقاد إلى رئيسه كالعسكري إذا ظن أميره تتابع خلعه وفي الحديث ان جراده وقعت بين يدي رسول الله فإذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الأكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام " اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء " قال فجاء جبريل فقال أنه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فإذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر إذا

قطع سلكه قيل

طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه إن الإنسان إذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير لي بيته فمات فمكث النبي أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شيء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقمت للبيت فوجدت الكلب تحت السرير
عجيبة حكي أن رجلا لم يولد له ولدفكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته

عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل في يوم كذا وصار يعدد افعاله لها فقالت له إن صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم وإذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق إلى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كان يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بن عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فإن اولادك فيه قال فجعل الجرو يجوب الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه وإذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فامسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك من هذا اليوم تقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف إن شاء الله تعالى

دويبة معروفة تسمى أبا جعران (جعل) والزعقوق يعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل

إنه يتولد من أخثائها

شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه إذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقري ومن طبعه أنه يحرس النيام فإذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجعية وذلك من شدة شهوته للغائط طير فوق الحمامة (حجل) (حرف الحاء) أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران وإذا تقاتل ذكر أن تبعث الانثى الغالب له شدة شبق وافراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة وإذا قوي على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى أنه إذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في إشراكهم
غريبة قيل أن أبا نضر بن مروان أكل مع

بعض مقدمي الأكراد فأتي على سماطه بحجلتين مشؤيتين فلما رآها ضحك فقال مم تضحك ؟ قال كنت اقطع الطريق في عنفوان شبابي فمر بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع إلي فلم أقتله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا لي أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدتا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه

الخواص لحمها جيدة معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين وإذا سعط بها إنسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الأسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهي أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لاتأكل أفراخ جارها ويقال إنها طرشاء وفي طبعها

أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة انثى كالأرنب روى الحافظ السلفي في فضائل (عجيبة) الأعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ما شاء الله ثم وضعت رأسي على الأرض وقلت يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك وأغنيني بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فإذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فإذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة في قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت
الخواص مرارتها تجفف في الظل وتنقع في إناء زجاج فمن لسع قطر منها في ذلك الموضع واكتحل مخالفا لجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودسمها إذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس وإذا وضع في بيت لم

تدخله حية ولا عقرب
دويبة صغيرة على هيئة السمك (حرباء)
ورأسها تشبه رأس العجل إذا رأت الإنسان
انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام
كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة
ويقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب
الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية
وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما
دارت فإذا غابت الشمس أخذت في كسبها
ومعاشها ويقال إن لسانها طويل نحو
ذراع وهو مطوي في حلقها فذلك تخطف
به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى
من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال أن
الصبيان ينادونها أم حبين انشري برديك
إن الأمير ناظر إليك وضارب بسوطه
جنبيك فإذا زادوا عليها نشرت جناحيها
وانتصبت على رجليها فإذا ازدادوا عليها
أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة
وإذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا
ولذا يقال يتلون كالحرباء

معروف ليس في الحيوان من (حمار أهلي)

ينزو على غير جنسه إلا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ما هو لين الأعطاف سريع الحركة ومنه ما هو بضد ذلك ويوصف بالهداية إلى سلوك الطريق
في الحديث عن النبي أنه لما فتح (لطيفة) خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها إلا نبي ولم يبق من الأنبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فمساه النبي يعفورا وقال له أتشتهي الاناث ؟ قال لا وكان يركبه في حوايجه وإذا أراد حاجة عند إنسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضي حاجته فلما مات النبي ذهب الى بئر كانت لأبي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الأغراض فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له في ذلك فقال

عير هي من نسل الاكراد يحمل الرجل ويبلغ العقبة ويمنعني أن أكون جبارا في الأرض وقال آخر وأقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبي يسارة مثلا في الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى إلى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركب الحمار فإنه إ ن كان فارها أتعب يدك وإن كان بليدا اتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال أعرابي الحمار بئس المطية إن أوقفته أدلى وأن تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع إلى الفرارة بطيء في الغارة لا توقي به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الإناء قال الزمخشري

إن الحمار ومن فوقه ... حماران شرهما (الراكب)

العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد
فيل كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه إذا نام والحمار يحمل أثاثه إذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم إن جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر إلى منازلهم وقد خلت فقيل لهم إنما أخذوا بأصوات دوابهم فقال إنما كانت الخيرة في هلاك ما عندي فمن عرف لطف الله رضي بفعله
هو أنواع كثيرة والكلام في الذي (حمام) ألف البيوت وهو قسمان أحدهما بري وهو الذي يوجد في القرى والآخر أهلي وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولا جل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ في يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على

ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود إلى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن إذا أبصره يعتريه ما يعتري الحمار إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر إذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد إلا ذكره إلى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من إحدى البيضتين ذكر والأخرى أنثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الأسطحة وعليه حمل أمل العلم قوله عليه الصلاة والسلام (شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فإن لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله (اتخذوا الحمام في بيوتكم فإنها تلهي الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط) وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شيء أبله من الحمام فإنه

تؤخذ أفراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تبتاع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شيء من الطير وغيره وهو الهادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام في الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق
الخواص دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار إذا خلط بالزيت منه وزبل الأحمر ينفع للسع العقرب إذا وضع عليه وإذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صيني نفع من الحصاة
أنواع كثيرة فمنه (الخطاف) (حرف الخاء)
نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه

أهل مصر الخطار ونوع طويل الأجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصفر يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الأبابيل ويقال أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلأجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فإن لم تجد الطين ذهبت إلى البحر فتمرغت في التراب والماء وأتت فطينته وهي لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لأنه وإن ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيئا ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ... تبقى) (إلى كل الأنام حبيبا

وانظر إلى الخطاف حرم زادهم ...) (أضحى مقيما في البيوت ربيبا

شأنه إنه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه

بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر اليرقان ويلقيه في عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره إنه يكاد يموت من صوت الرعد وإذ عمي ذهب إلى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه
لطيفة قيل إن خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال بها تتمنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت ؟ فقال يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم
الخواص مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه إذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع خفاش طير يوجد في الأماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لأنه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران

قيل إنه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لأنه قيل إن عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك بإذن الله تعالى فهي تكرهه لأنه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل إنه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لأنه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل أنه يجامع الأنثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي إنه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الأنثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزوا الذكر إذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية وإذا بلغت

الأنثى خمس عشرة سنة ولا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الأربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل إنه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لافاه وإذا التقى ناباه من الطول مات لأنهما حينئذ يمنعانه من الأكل ومن عجيب أمره أنه ياكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها وإذا عض كلبا سقط شعره وإذا مرض واطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره أنه إذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده إلا بالقلع مع شيء من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الأرض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسو لأن كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة

فائدة قيل إن رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الأطباء فيها فبينما هو ذات يوم إذا بطرقي يقول من به وجع كذا إلى أن قال من به قرحة فخرج إليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها

وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيئا سدى وأن في أخس المخلوقات أهم الأدوية فسبحان القادر على كل شيء الخواص إذا قطعت رؤوس الخنافس وجعلت في برج الحمام كثر الحمام في ذلك البرج والاكتحال بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض وإذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر (خيل) جماعة الأفراس وسميت بذلك لأنها تختال في مشيتها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبي عليه الصلاة والسلام فقال " الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة " وقال " عليكم باناثا الخيل فإن ظهورها عز وبطونها كنز " وروي عن ابن عباس أو علي رضي الله عنهما أن رسول الله قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى إلى الريح الجنوب وقال إني

خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت فأتي

جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال يا آدم اختر أي الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفي الحديث " ما من فرس إلا ويقول في كل يوم اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله إليه " وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهي المغزو عليها وفرس لك وهي التي تسابق عليها وفرس للشيطان وهي التي جعلت للخيلاء وفي الحديث " إن الملائكة لا تحضر شيئا من اللهو إلا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله " ولقد سابق النبي على الخيل وقيل إن الذكر من الخيل أقوى من الأنثى ولا يرد علينا ركوب جبريل في قصة موسى وفرعون الأنثى لأن ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنهم فأغرقوا لأن الحصان إذا رأى الحجرة تبعها وقيل إن الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون

بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهي أصناف منها الصافنات وهي التي إذا ربطت في مكان وقفت على إحدى رجليها وقلبت بعض الأخرى في الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل إنما عقرها على وجه القرى كالهدي وقيل إن الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها في الاء الكدر فرحا به فإنه يرى شخصه في الماء الصافي فيفزعه ولا يراه في الماء الكدر وقد قيل في الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها ... فإن العز (فيها والجمالا)

إذا ما الخيل ضيعها أناس ... ربطناها (فأشركت العيالا)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 241]

نقاسمها المعيشة كل يوم ... وتكسبنا)

(الأباعر والجمالا
اسم لكل ما دب على (دابة) (حرف الدال)
الأرض وأما التي ذكرها الله تعالى في
سورة سبأ فقيل الأرضة وقيل السوسة
وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة
والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح
فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم
واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له
كيف دخلت من غير استئذان ؟ فقال أذن
لي رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت
هو الله تعالى وإن الشاب ملك الموت
أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا
اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم
يخلق قال وكان قد بقي من بناء المسجد
الأقصى بقية فقا له يا أخي يا عزرائيل
امهلني حتى يفرغ قال ليس في أمر ربي
مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته
الانقطاع في التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتي
فنيظر ما صنعت الجن فلما قبض كان
متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن
تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم
بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد
فسلط على العصا الأرضة فأكلتها فخر
ميتا تفترقت الجن عنه وقيل إن واحدا
منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه

فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فإذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التي اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) قال فشكرت الجن الأرضة حتى قيل أنهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت وأما الدابة التي من أشراط الساعة فاختلف في أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الألوان وذلك في ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين إلى منى ومعها عصا منوسى وخاتم سليمان

لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب في وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب في وجهه كافر وروي أنها تخرج إذا انقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل الخير

وهو ما يربيه الناس في البيوت من (داجن) صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفي حديث الأفك ما نعلم لها قضية غير أنها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتي الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهل وأبو جهينة وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جدعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به إلى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لأنها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه في الهواء حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفي ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهي من الحيوان الذي يدعو الانسان للفعل به وقيل إن الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمي بالجوز إليها إلى أن تشبع وربما قطع من الشجر الغصن العتل الضخم الذي لا يقطع إلا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا إلا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك وإذا هرمت لم يبق لبيضها مخ وتوصف بقلة النوم قيل أن نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف في الليل ولأجل

ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا
وتخشى الثعلب قيل إنها إذا رأيته ألقت
نفسها إليه من شدة الخوف ولا تخشى من
بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الأنثى
بإمساك منقاره فإن تحرك فذكر وإلا
فأنثى ومن الدجاج مايبيض في اليوم
مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل
خلق البيضة في بطن الدجاجة في عشرة
أيام وفي الحديث أن النبي أمر باتخاذ
الغنم للأغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن
العجيب في صنعة الله تعالى أن خلق
الفروج من البياض وجع ل الصفار غذاء له
كما خلق الطفل من المني وجعل دم
الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن
الخالقين
الخواص لحم الدجاج الفتي يزيد في العقل
ويصفي اللون ويزيد

في المني ويقيم الباه والمداومة عليه
تورث النقرس والبواسير على ما ذكر
طير كبير أغبر يكون بساحل البحر (دج)
كثيرا وبالقرب من الإسكندرية والناس

يصطادونه ويأكلونه (دود) إسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك في أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الأماكن الدافئة إذا كان مصرورا في حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الأبيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع ويتنقل السواد إلى البياض وكل ذلك في مدة ستين يوما قال ثم يأخذ في النسج بما يخرجه من فيه إلى أن ينفذ ما ف جوفه ثم يخرج شيئا كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج إلى السفاد ويلصق الذكر مؤخره إلى مؤخر الأنثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينشران البزر عليها ثم يموتان هذا إذا أريد منهما البزر وإن أريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى إنه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو

الفتح البستي
ألم تر أن المرء طول حياته ... معنى بأمر (لا يزال يعالجه
كذلك دود القز يسنج دائما ... ويهلك غما) وقال آخر (وسط ما هو ناسجه
يفنى الحريص بجمع المال مدته ...) (وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها ... وغيرها) (بالذي تبنيه ينتفع
وكنيته أبو حسان وأبةو حماد وغير (ديك) ذلك ويسمى الأنيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه إذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدي إلى الرجوع إليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها أنه يساوي بين أزواجه في الطعمة ويذكر الله

تعالى في الليل حتى قيل إنه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم في توقيته وفي الصحيح إذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فإنه يصيح بصياح ديك للعرش وروى الغزالي عن ميمون بن مهران أن

لله ملكا تحت العرش على صورة الديك
فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه
وقال ليقم المسملون فإذا مضى الثلث
الثاني ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون
فإذا كان السحر وطلع الفجر ضرب
بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم
أوزارهم وفي الحديث ان النبي قال " إن
لله ديكا أبيض له جناحان موشحان
بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق
وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش
وقوائمه في الهواء فإذا كان ثلث الليل
الأول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك
القدوس فإذا كان الثلث الثاني خفق
بجناحيه وقال قدوس فإذا كان الثلث
الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن
الرحيم لا إله إلا هو " وروى الثعلبي
باسناده عن النبي أنه قال ثلاثة أصوات
يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ
القرآن وصوت المستغفر بالأسحار وفي
الحديث " لا تسبوا الديك فإنه يؤقت
" للصلاة
وزعم أهل التجربة أن الرجل إذا ذبح الديك
الأبيض الأفرق لم يزل ينكب في أهله
وماله
نادرة قيل كان لإبراهيم بن مزيد ديك

وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شيء يضحي عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج إلى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح إلى سطح وهي تتبعه فسألها جيرانها وهم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبي إسحاق إلى هذا القدر فأرسل إليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا ؟ فقصت عليه زوجته القصة فقال إن هذا الديك لكريم على الله فإن إسماعيل نبي الله فدي بكبش واحد وهذا فدي بما أرى

وكنتيه أبو جعفر وهو (ذباب) (حرف الذال) أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقي رجيعه على الأبيض يسود وعلى الأسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفي الحديث " إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه دواء وفي الأخرى داء وإن

من طبعه أن يلقي نفسه بالجناح الذي فيه الداء
وحكي أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لأي حكمة خلق الله الذباب ؟ قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبي أنه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا أن الذباب إذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعني زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك
وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فإذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل إن المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس وقيل إن الذباب إذا مات وألقي عليه برادة الحديد عاش وإذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب
حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو (ذئب) جاعد وأبو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام بأحدى عينيه ويحرس

بالأخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الأخرى كما قال بعض واصفيه
ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى)
وإذا أراد السفاد (المنايا فهو يقظان هاجع اختفى ويطول في سفاده كالكلب وإذا جاع عوى فتجمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه وإذا خاف منه الإنسان طمع فيه وليس في الأرض أسد يعض على عظم إلا ويسمع

لتكسيره صوت بين لحييه إلا الذئب فإن لسانه يبري العظم بري السيف ولا يسمع له صوت وقيل إذا أدماه الأنسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما أن الحية إذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب إذا عض الإنسان يطلبه الفأر فيبول عليه فيكون في ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة وقيل لا يعرف الالتحام عند السفاد إلا في الكلب والذئب وإذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما ينسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

طير عظيم الخلقة يوجد (رخ) (حرف الراء) بجزائر الصين قال أبو حامد الأندلسي ذكر لي بعض المسافرين في البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا في طرفها لمعانا وبريقا فتقدموا إليه وإذا هم بشيء مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفؤوس إلى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونشبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الحزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذي شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى في رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا في البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر في البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقي معهم أصل ريشة قيل إنهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكرم (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال أنها صماء وسبب ذلك ما قيل في بعض الحكايات إن موسى عليه

الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا إلى موضعه

حيوان غريب الخلقة (زرافة) (حرف الزاي) ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهي ألوان عجيبة يقال إنها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والنقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فيأتي بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح أنها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لأن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا بحكمة
حيوان فوق النحل له ألوان وقد (زنبور) أودعه الله حكمة في بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الأربع فإذا جاء الشتاء دخل تحت الأرض ويبقى إلى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفي طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه إذا وضع في

الزيت مات وفي الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية
نوع من المتشيطنة (سعلاة) (حرف السين)
قال السهيلي هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض وإذا انفردت السعلاة بإنسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركوني فقد أخذني الذئب وربما قالت من ينقذني منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون إلى كلامها
حيوان يوجد بأرض الصين ومن (سمندل) عجيب أمره أنه يبيض في النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف إذا اتسخت جعلت في النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها حكي أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت في النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد في بلاد الترك على قدر اليربوع إذا أبصر الإنسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه

موافق لكل طبع وأحسنه الأزرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة
حكي أن أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ؟ ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر ؟ قال أبيعه قال بكم ؟ قال بمائة درهم فقال إنه يساوي نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما اكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيون يهيج في زمان الشتاء في شهرين منه وتراهن يترددن صارخات في طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذي غيرة هادت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم النسور كطيب فم الكلب في النكهة وقيل أن الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض والناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان في بعض الأحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ وبر ولده

بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسري في جلده وقيل إذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لأجل الفأر فإذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو الفهد بالهند ويوجد الزباد تحت أبطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة
ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال
ألا كل من لا يتقدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه
حيوان يوجد (شاد هوار) (حرف الشين)
بأرض الترك يقال أن له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل إن فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى

تورث الفرح والضحك وأنه أهدي إلى بعض الملوك شيء من شعهبا فرأى فيه ذلك

ويقال إن من الحيوان شيئا يوجد بالغياض في قصبة أنفه إثنا عشر ثقبا إذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه وياكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فإذا لم يمسك منها شيئا ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه

طير يكون كهيئة الصقر إلا أنه (شاهين) عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو إلى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالأرض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك أنه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس إذا سار فاتفق في بعض الأيام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شحرور) طير أسود فوق العصفور يصوت بأصوات مطربة

حيان يسمى الصرصار (صرد) (حرف الصاد) على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لأنه أول طير صام يوم عاشوراء (

صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس
نوع من الحيوانات (ضأن) (حرف الضاد)
ذوات الأربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الأنثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة وإذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها أنها إذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا يخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن

دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم إلى صديقه شاة هزيله فقال
تقول لي الأخوان حين طبختها ... أتطبخ)

ومن العجب أنه (شطرنجا عظاما بلا لحم يأتي غنم من الهند للكبش منها ألية في صدره وأليات في كتفيه وأليه على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها أنها إذا تسافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح إن كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم

ومن خواصها أن لحمها ينفع للسوادء ويزيد في المني والباه وإذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها وإذا غطي إناء العسل بصوف الضأن الأبيض منع وصول النمل إليه وإذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله أعلم

حيوان يجعل جحره في الأرض (ضب) الصلدة وعنده بلم فربما لا يهتدي لجحره إا خرج منه فلذلك لا يحفره إلا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل إنه يعيش سبعمائه سنة ومن طبعه أنه يصير على الماء يقال إنه لا يشرب فإنه يبول في كل أربعين يوما قطرة والأنثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الأرض وتتعاهدها في كل يوم إلى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك

يجعل العقارب في جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة في بصره وإذا عطش نشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعي مناسبة وذلك أنه لا يخرج زمن الشتاء
فائدة قيل أن أعرابيا أتى النبي وفي كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يا رسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ؟ قال ثم أقبل الأعرابي

على النبي وقال والله لا آمنت بك إلا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي ياضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال من تعبد ؟ قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا يا ضب ؟ قال رسول

رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابي عند ذلك يا ويلاه ضب اصطدته بيدي من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد أكثر بغضا مني إليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الأرض أحدا أكثر محبة مني إليك ولأنت الساعة أحب إلي من أهلي وولدي وما تملك يدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال النبي الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله إلا بصلاة ولا يقبل الصلاة إلا بقراءة قال فعلمني يا حبيبي قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الأخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال لهذا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال ؟ فقال يا حبيبي ليس في بني سليم أفقر مني فقال لأصحابه أعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله عندي ناقة عشارية أعطيها له فقال إن الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبر جد الأخضر وعيناها

من الياقوت الأحمر وعليها هودج نم السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الإعرابي من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبي فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبي خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدار قطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدي
الخواص قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ وإذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شيء وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل

لحمه لا يعطش زمانا طويلا
حيوان معروف ومن كناه أم عامر (ضبع)
ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل إنه ينبش القبور وإذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه
الخواص من شرب دمه ذهب وسواسه

ومن علق عليه عينه أحبه الناس وإذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشربه زال سحره

حيوان يتولد من المياه الضعيفة (ضفدع) الجري ومن العفونات وعقيب الأمطار وأول ما يظهر مثل الحب الأسود ثم ينمو ثم تتشكل له الأعضاء وإذا نق جعل فكه الأسفل في الماء والأعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لأسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي تسعون سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك ؟ قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود ما عسى أن أقول وقال بعضهم إنها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار إبراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

طير مليح ذو ألوان (طاوس) (حرف الطاء) عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس

من الحيوان والأنثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الأنثى مرة واحدة في كل شهر ففي السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر في أيام الربيع ويرمي ريشه في أيام الخريف كالشجر فاذا بدأ طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما
فائدة قيل إن آدم لما غرس الكرمة جاء إبليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا

فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاولس فإذا جاء مبادئ السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فإذا قوي سكره قام وعربد كهيئة الأسد فإذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم

باقامته بالدور قيل لأنه كان سببا لدخول إبليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شيء قدير
واحد الغزلان وهو(ظبي)(حرف الظاء)
ثلاثة أصناف الأول الآرام وهو ظباء الرمل ولونها رمادي وهي سمينة العنق والثاني العفر ولونها أحمر وهي قصيرة العنق والثالث الآدم وهي طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل إن الظبي يقضم الحنظل ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الأجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها في العذب فأي شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل
الخواص لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب أن من صادها وفست في ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتي بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل ما فيه وتأكله بعد ذلك

حيوان معروف وهو(عجل)(حرف العين)
ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني
اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن
موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له
ثلاثين ليلة ثم أنمها بعشر وكان فيهم
شخص يسمى موسى بن ظفر

السامري في قلبه من حب عبادة البقر
شيء فابتلى الله به بني اسرائيل فقال
ائتوني بحلى قال فأتوه بجميع حليهم
فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة
من التراب أخذه من أثر فرس جبريل عليه
السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى
فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى
وكانوا يأتون إليه ويرقصون حوله
ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة
الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم
وإنما فعل ذلك باغواء ابليس لعنة الله
حتى يطغيهم
نقل القرطبي عن سيدي أبو بكر(فائدة)
الطرطوشي رحمهما الله أنه سئل عن
قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من

القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وإنما كان النبي مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكنية فينبغي لولاة الأمر وفقهاء الإسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ أنها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير العدد وقال غيره إذا حملت تسلط عليها أولادها فاكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكثرون ويطوفون بالأرض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم إلا إذا تحرك شيء منه والخنافس تأوي إلهيا وربما لسعت التنين

العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطء البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 255]

فحمله على ظهره وذهب به إلى ذلك الجانب قال ذو النون فاتززت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجنانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه ... من كل سوء (يكون في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك ... يأتيك منه (ثم أيقظت الغلام وأخبرته (فوائد النعم

بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

إذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد
إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ... تموت
الأفاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ...
وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه
من التضييع في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر
علينا جيشه بالعجائب

فائدة إذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهي سلام على نوح في العالمين وصلى الله على سيدنا محمد في المرسلين أعيذك من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والأرض إلا ربي آخذ بناصيتها كذلك يجزي عباده المحسنين إن ربي على صراط مستقيم نوح قال لكمن من ذكرني لا تلدغوه إن ربي بكل شيء عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب

ولسان الحية

ويد السارق يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفي البخاري أن رجلا جاء إلى النبي وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتني البارحة فقال له النبي أما إنك لو قلت إذا امسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذي أن من قال حين يمسي أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح في العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر في ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب في السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك

الخواص من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شيء من ورق الزيتون برئ

أيضا لوقته
طير ذو لونين طويل الذنب قدر(عقعق)
الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر
من جناحي الحمامة وهو لا يأوي إلا
الأماكن العالية وإذا باض جعل حول بيضه
ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا
يفسده الخواص ذمه إذا جعل على قطن
وألصق على موضع النصل والشوكة
الغائبة في البدن أخرجه (علق) دود أحمر
وأسود يكون بالماء بعلق بالخيل والآدمي
فإذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا وإذا
علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها
تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصة ان
البيت إذا بخر به هرب ما فيه من البق
والبعوض وإذا جفف وسحق وقلع الشعر
وطلي به مكانه منع نباته
اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر(عنقاء)
عظيم الخلقة له وجه

انسان وفيه من كل حيوان لون وقال
بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا
كالجبال ويبعد في طيرانه وسميت بذلك

لأنه كان في عنقها طوق أبيض قال القزويني إنها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت في قديم الزمان بين الناس إلى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها إلى نبي دلك الزمان فشكوها إليه فدعا عليها فذهب بها إلي بعض الجزائر التي خلف خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل إليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند و غير ذلك وقال أصحاب التواريخ إن هذا الطير يعمر حتى قيل إنه يعيش ألفي سنة ويتزوج إذا مضى عليه خمسمائة

وحكى الزمخشري في ربيع الأبرار أن الله تعالى خلق في زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى إلى موسى إني خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت إلى نجد والعرق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي فشكوها له فدعا

عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت دويبة لها ثمانية أرجل وستة (عنكبوت) عيون وهي من الحيوان الذي صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دردا صغيرا ثم يتغير وتصير عنكبوتا وتكمل صورته فائدة قيل إن امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها إقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك ؟ فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغي بألف رجل ويتزوجها خادما ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبرت حتى قامت أمها لتقضي بعض شؤونها وعمد إلى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال

ثم إنها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هناك تبغي قال وأما الرجل فإنه صار من التجار وقدم لتلك

المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك أخطبي لي امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغي فقال العجوز ائتني بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فإني قد تبت عن البغي فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى إذا كان في بعض الأيام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هي الحمام وعرضت له حاجة فرجع إلى الدار وصعد إلى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هي في الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى في بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا ؟ قالت لا أعلم إلا أن أمي أخبرتني أنه كان لنا خادما وأنه يوم ولادتي غافل أمي وشق بطني بسكين وهرب وأنها حين رأتني كذلك دعت بعض الأطباء فخاط بطني وعالجني حتى أندمل جرحي وشفيت وبقي هذا الأثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت ثم إنه اهتم بأمرها وجمع مهندسي البلدة التي هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا

كل بناء ينسج عليه إلا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه لا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم إذ رأى عنكبوتا قد نسج في ذلك القصر فقام إليه فرماه وقال لها هذا الذي يكون موتك منه قال فداسته بإبهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذي يقتلني فشدخته فتعلق بطرف إبهامها من مائة شيء فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم إلى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه سيئا قال الله تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) الآية

فائدة نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبي وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبي لخالد الهذلي فقتله وحمل رأسه ودخل به في غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما

صلب عريانا وقيل إنها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه
الخواص نسجها إن وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة إذا دلكت به والذي يوجد من نسجها في بيت الخلاء ينفع المحموم إذا تبخر به
حيوان معروف وهو بأرض (ابن عرس)
مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفأر وعنده الحيل قيل إنه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر إنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفأر فسقط فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه عجيبة قيل إن رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر وما زال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شيء فأفلته له
وكنيته أبو حاتم وله (غراب) (حرف الغين)
كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الأكحل وغراب الزرع والأزرق وهذا النوع يحكي جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح

الغراب فتقول إذا صاح مرتين فشر وإذا صاح ثلاثة فخير وهو كالإنسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والأنثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والأب يسعي في طعمتها إلى أن تفرخ فإذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض

به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري
يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم) ومن طبعه أنه لا يتعاطى (الكسير المهيض الصيد بل إن وجد رمة أكل منها ويقم من الأرض ما وجد ويسمى بالفاسق لأنه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل إليه ويسمى بالبين لأنه إذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم ومن الغرائب أن بين الغراب وبين الذئب إلفة وذلك إنه إذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها ومعه الذئب لا يضره

الخواص إذا غمس الغراب في الخل ثم جفف وسحق ريشا وطلي به الشعر سوده وإذا علق منقاره على إنسان زالت عنه العين وزبل الغراب الأبقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وإن صر في خرقة على من به السعال زال

دجاج بني إسرائي يقال إن فرقة (غرغر) من بني إسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الأسود وعينهم الأراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى أعلم

طير أغبر من ذوات (فاختة) (حرف الفاء) الأطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفي طبعها الأنس فمن أجل ذلك

تتخذ بيتها في البيوت وهي من الحيوان الذي يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا

وعشرين سنة
الخواص دمها ينفع من الآثار في العين من ضربة أو قرحة إذا قطر فيها
وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى (فأرة) بالفويسقة وذلك أن النبي انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهي التي قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتي إلى إناء الزيت فتشرب منه فإذا نقص صارت تشرب بذنبها فإذا لم تصل إليه ذهبت وأتت في فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال إنها بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة في إناء فإن لم تشربه فهي منهم
الخواص عينه تشد على الماشي يسهل تعبه وإذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفأر (فرس البحر) حيوان غليظ أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده يوجد بالنيل ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره

حيوان شرس الأخلاق قال أرسطو(فهد) هو متولد من الأسد والنمر في طبعه مشابهة بطيع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو على أنثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني
حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو(فيل) الحجاج والأنثى أم سبل وهو ينزو على أثاه إذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر في مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح إلابيلاده وإذا أردات الوضع دخلت النهر لأن رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فإنها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج في زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل إن ثدييه في صدره كالإنسان وهو أضخم الحيوان

وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان

نابه أكثر من ثلاثمائة سن وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعدة فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل وقرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم أنفه ويده وبه يتناول الطعام إلى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل أن الفيل جيد السباحة وإذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه إلا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وإنما هو وعاء إذا ملأه من طعام أو ماء أولجه في فيه لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور

حكي عن هارون مولى الأزد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في جهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم ... تبارك) الله لي في رؤية الفيل
رأيت بيتا له شيء يحركه ... فكدت أفعل) وقيل إذا اغتم الفيل (شيئا في السراويل لم يكن لسواسه هم إلا الهرب بأنفسهم ويتركونه ومن عجيب أمره أن سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والآخر في يد راكبه فإذا أراد شيئا غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الأعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن

جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق إلا في بلادها الخاصة وإن عظام الفيل كلها عاج إلا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الأحنف ابن قيس على أهل الكوفة

في قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل أن الفيلة لا تتسافد في غير بلادها
فائدة من قرأ سورة الفيل ألف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم إن فلانا ظلمني وأساءني ولا يشهد بذلك غيرك انت مالكه فأهلكه اله سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فإن الله يستجيب له ما لم يكن ظالما
الخواص جلده إذا بخر به بيت هرب بقه وإذا سقي إنسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة وإذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر وإذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس
دويبة تشبه (قاقم) (حرف القاف)
السنجاب إلا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب
طير يكون بساحل البحر يبيض في (قاوند) الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج

افراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام
ويقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن
أن يفيض على الساحل إلا إكراما له لأنه
يقال أنه يبر والديه
خواصه أنه يقيم المقعد ويحلل البلاغم
المزمنة وينفع الأمراض الباردة وأوجاع
الأعصاب
حيوان معروف وكنيته ابو خالد وغير(قرد)
ذلك وهو قبيح المنظر ملح الذكاء سريع
الفهم يتعلم الصنائع قيل إنه أهدي
للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ

المستطرف [جزء 2 - صفحة 264]

وأهل اليمن يعلمون القرد البيع والجلوس
في الدكاكين حتى قيل إنه يخرز النعل
ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط
حتى قيل إنه يعدو خلف المليح من شدة
المحبة والتفت ابن الرومي يوما إلى أبي
الحسن الأخفش وهو يحاكي القرد فقال
هنيئا يا أبا الحسن المفدى ... بلغت من( )
الفضائل كل غاية
شركت القرد في قبح وسخف ... وما( )
قصرت عنه في الحكاية

بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان (قنفذ) ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فإن كان له أفراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به إلى أولاده وهو مولع بأكل الأفاعي فإذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه وإذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البري فيزول أذاها وهو الحيوان الذي يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

حيوان يوجد ببلاد (كركند) (حرف الكاف) الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل ناباه شيئا معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملامسة وإذا نشر قرنه ظهرت في معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبني آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الأسرة والناطق للملوك ويتغالون في ثمنها بحيث تبلغ المنطقة اربعة آلاف أو اكثر والأنثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الأسنان والقرون قوي الحافر ويقال إنها إذا قاربت الوضع أخرج الولد

رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فإذا شبع أدخل رأسه في بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه إذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيئا حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندي وهو شديد العداوة للإنسان يتبعه إذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيئا

طير معروف لا ينام غالب الليل (كروان) خصوصا في القمر وعنده ذكاء قيل إنه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة طير محبوب للملوك وله مشتى (كركي) ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل إذا نزل بمكان اجتمع حلقه ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم أنه يقظان فإذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزويني وإذا مشى وطئ الأرض بأحدى رجليه وبالأخرى قليلا خوفا من أن يحس به وإذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل

ثم تتبعه البقية
معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي (كلب)
وهذان النوعان سواء إلا أن أنثى السلوقي
أسرع في التعلم من ذكره وهذا الحيوان
حليم وعنده رياضة وفي طبعه إكرام
الأجلاء من الناس
وحكي أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص
منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب
المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما
فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما
قتيلين فأنشد يقول
وما زال ذمتي ويحوطني ... ويحفظ)
(عهدي والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتي ... وواعجبا)
وحكى أبو عبيدة قال (للكلب كيف يصون
خرج رجل إلى الجبانة ومعه أخوه وجاره
لينظروا إلى الناس فتبعه كلب له فضربه
ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد
ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له في
طلبه فلما رآه خاف على نفسه فإذا بئر
هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه
وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه
وجاره إلى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله
فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال
يبحث في التراب إلى أن كشفه عن رأسه

فتنفس الرجل ومر به أناس فتناولوه وردوه إلى أهله فلما تمات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفي ذلك قيل تفرق عنه جاره وشقيقه ... وما حاد عنه (كلبه وهو ضاربه)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 266]

ومن ذلك ما حكي أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتي كل يوم إلى الموضع الذي دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس إن لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذي ينبح عليه الكلب وضربون فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذي يعرف الحسنة وقيل أن الأنثى تحيض في كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع إثنا عشر جروا وذلك في النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب في الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بأرمينية يفترس الأسد فأرسل من جاء به إليه فجوع أسدا

وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغني لأنه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله إذ بال ؟ قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان ؟ قال هو يتوهم ذلك
فائدة حكي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار إليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت الرجل إلي ثم قال حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال " من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامه فلم يلج الجنة وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه " قال فقال الإمام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا إلى أهله فائدة اخرى قال الترمذي لما هبط الله تعالى آدم إلى الأرض سلط عليه إبليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل

واطمأن إليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الألفة فيه لأولاده إلى يوم القيامة وقيل أن أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام وذلك لأن

قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه في السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب إذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه
فائدة أخرى قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجي اللون وليس في الحيوان ما يدخل الجنة إلا هو وكبش إسماعيل وناقة صالح وحمار العزيز وبراق النبي فائدة أخرى إذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقل بعد ذلك لا إله إلا الله فإنك تكفاه
طير معروف قيل إنه (لغلغ) (حرف اللام) من طيور الفواخت ويأتي إلى أرض مصر

في أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل إلى بلاده
طير يوجد (مالك الحزين) (حرف الميم)
بالضحضاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لأنه قيل أنه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء وإذا نشف الضحضاح حزن لأنه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال إن غذاءها التراب فإذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ
قال عليه الصلاة (نمل) (حرف النون)
والسلام إلا تنظرون إلى صغير من خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد

تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الأرض وسعت في مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة إلى جحرها تجمع في حرمها لبردها في وردها لصدرها

لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا وللقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي اقامها على قوائهما وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا إله إلا هو ولا معبود سواه وقيل إذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته إلى ظهر الأرض ليجف وقيل إنها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد إلا الكزبرة فإنها تفلقها أربعا لأنها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل إنها تشم رائحة الشيء من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة وإذا عجزت عن حمل شيء استعانت برفقتها فيحملونه جميعا إلى باب جحرها وقيل إذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم (نحل) حيوان ليس له نظر في العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفي طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه في تدبير معاشه أنه يبني له

بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة إذا طار ارتفع في الهواء وحط على الأماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والأشاء الحلوة وشرب من الماء الصافي وأتى فأخرج ذلك فأول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل إنه يقسم الأعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفي طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعند الطرب فيحب الأصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى

فائدة قيل مرض شخص فقال أئتوني بماء وعسل فأتوه

بذلك فخلط الجميع وشربه فشفي وروي أن شخصا شكا النبي بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره

بشربه ثم جاء في الثالثة فقال يا رسول الله إن بطنه لم يزل فقال رسول الله إن بطنه لم يزل فقال رسول الله " صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفي "
نادرة قيل إن بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) أهل البيت فإنهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضره من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته الخواص إذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل (نسر) أنه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل أنه يقطع من المشرق إلى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل أنه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل أنه يشم رائح الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ وإذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ

من الأكل وعنده شره قيل أنه ياكل حتى يضعف عن الحركة بحيث أن أضعف الناس لو أراد إمساكه في تلك الحالة أمسكه وإذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وإنما يبيض في الأماكن العالية ويبقيه في الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن ومن طبعه أنه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق إلفه حتى قيل إنه ليموت كمدا ويقال للأنثى منه أم قشعم وفي الحديث " أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شيء سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد

الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة الخواص إذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد الذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة وإذا عسر على

المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها
يذكر ويؤنث وتسمى الأنثى بأم (نعام)
البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها
أنها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر
وتجعلها أثلاثا للحضن وثلثا تأكله في
حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود
فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق
أنها تخرج من حضنها فتجد
بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها
فائدة روى كعب الأحبار رضي الله تعالى
عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله
على آدم كان على قدر بيض النعام وقال
له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث
وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة
ثم نزل إلى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم
النبق وكان في زمن العزيز على قدر
الحمص وقيل كل حيوان إذا كسرت رجله
مشى بالأخرى إلا النعام فإنه يبرك إلى أن
يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ
حتى قيل أنه يشم رائحة القناص من
مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء
كالضب ويقال إن القناص إذا أدركها
أدخلت رأسها في شيء له شعب أو حجر
تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية

تقطع الحديد والصوان والجمر وفي
طبعها الأذى يقال أنها تخطف الحلق من
أذن الصغير وقيل أن الذئب لا يتعرض
لبيض النعام وأفراخه ما دام الأبوان
حاضرين لأنهما إذا راياه ركضه الذكر إلى
أن يسلمه إلى الأنثى فتركضه إلى أن
تسلمه إلى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه
أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون
عدوها إذا استقبلت الريح وتقول العرب
صنفان من الحيوان لأصمان ا يسمعان
النعام والأفاعي وسأل أبو عمرو الشيباني
بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال
يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما إلى
سمع
حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو(نمير)
صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب
والآخر بالعكس قال

الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة
في خلقه ويقال أن أنثاه لا تدع ولدها إلا
مطوقا بحية ولا يضرها نهشها وذلك لأجل
الصياد حتى لا يظفر به وإذا مرض أكل

الفأر فيبرأ وفي طبعه عداوة الأسد وعنده شرف في نفسه يقال أنه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون الخواص من حمل من جلده شيئا صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

طير معروف وهو من (هدهد) (حرف الهاء) رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل أنه يرى الماء تحت الأرض وسب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبي الله إني رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال أنه قال لسيمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه الخواص إذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه إذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه إذا حمله إنسان

وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه إذا اكل مطبوخا نفع من القولنج وإن بخر بمخه برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه ومن علق عليه لحيه الأسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم طير يتولد بين (ورشان) (حرف الواو) الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال إنه يكاد يقتل نفسه إذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه وقال

بعضهم أنه يقول في صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب والهدهد إذا نزل القضاء عمي البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الأعلى والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة

كالدرة ويمد صوته في الضالين كالقارئ سموا بذلك (يأجوج ومأجوج)(حرف الياء) لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل وهو ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال إن آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث " يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة " انتهى وهم أصناف منهم منا طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد وإذا مشوا في الأرض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق إلى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شيء يمرون به ومن مات منهم اكلوه ويقال أن صنفا منهم له أذنان إحداهما صلدة والأخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الأخرى وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة ؟ فقال

عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسري بي فلم يجيبوا فهم خلق النار وفي الحديث أيضا إن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار ؟ فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحدة للجنة قال فاشتد الأمر

على المسلمين فقال رسول الله أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحدا وفي الحديث أن رجلا جاء إلى النبي فأخبره بالردم فقال صفه فقال يا رسول الله انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعلمونه فدخلت في بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتني فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك إن هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر إليه فإذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المخبر فقال رسول الله من سره أن ينظر إلى من رأى الردم

فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذي بناه ذو القرنين وهذه الأمة خلفه تطلب المجيء إلى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيره الله كما كان إلى أن يقضي الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دورا يطلع في حلاقيمهم فيهلكهم الله به والأخبار في ذلك كثيرة

دابة وحشية لها قرنان طويلان (جمور) كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالأيل يلقي قرنيه في كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي

نادرة قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق وإني رجل من الجان ولي إليك حاجة قال وما هي ؟ قال إذا وصلت إلى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي إليك حاجة قال وما هي ؟ قال إذا ركب الجني إنسانا ما يعمل له قال تشد بهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فإن الراكب له يموت تفرقا ودخل الأنسي ففعل ما أمره به الجني من

شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام إلا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك إلا إلى صاحب المدينة قال ائتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فشددت وقطرت

ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات ساعته وشفي الله تلك الشابة

فصل في خواص الطير والحيوان على الاجمال

الضب والخنزير لا يلقيان شيئا من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الانسان والقرد وكل ذي عين فإن أهداب عينه في الجهة العليا فقط إلا الانسان من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لأنها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن

وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواك القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضيء بالليل عين الأسد والنمر والأفعى والسنور والذي يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذي يحيض من الحيوان الإنسان والفرس والكلب والأرنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت إيراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

الباب الثالث والستون في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له أبدان كالأسود ورؤوس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها

يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثال عوي الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ما له أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال إن هذه الأمم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الإنسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الإنسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الأشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الأمر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب وإياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى إسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة إليه وفي الحديث " لا تضربوا الوجوه فإنها على صورة إسرافيل " وآيات الله تعالى في

أكثر من أن تحصر (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الألباب دخلت إلى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الأسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألف ومائة مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقي أو ديقي وكان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط

كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان إذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل إلى ركبتيه رحمه الله تعالى عليه ولم ين في بلغار حمام يمكنه دخولها إلا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب ابن النعمان إن هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل إنها ضمته إليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته

وروي عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم إلا أنه كان لا يوصف طوله قيل إنه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال إن الطوفان علا على رؤوس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الأرض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال

إنه لما حصر بنو إسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج إليه وضربه بعصا فقتله ويقال إن موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل إلى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الأرض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها وأمره أن يدفعها إلى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة

فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليه أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين
ومن ذلك ما حكي عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاده الأكراد المحمدية في جبل من جبال المصل إنسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه
وروي عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة اليمن فرأيت بها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن واحد ومن وسطه إلى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف

صنع به ؟ فقيل ربط في أسفله حبل وثيق

وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخرب بالسوق ذاهبا وراجعا
ومنه ما أرسله بطارقة الأرمن إلى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فأحضر الأطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا ؟ قال نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال إنه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان في بعض الأحيان وأنه يصلح بينهما ومن ذلك ما ذكر أنه أهدي إلى أبي منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان إذا قرب منه إنسان نشرهما وإذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على حد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فإنه يوجد كثيرا في السنور الدبركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه فوض من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى

في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه ومن ذلك إنسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الأوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب
ومن ذلك بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال إن الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدوهن في البحور ثانيا ويقال إن هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر

وحكي عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت إليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين

من أحسن ما يكون من النساء ومن صرتها إلى نصف ساقيها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالإزار فأخذها الرجال إلي البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فألقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين

وحكى القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بهامدة وكانوا إذا جاء الليل يسمعون بها همهمة واصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المراكب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن اثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر ووثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها في البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المراكب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار من التجار

ونظير هذه الحكاية ما ذكره ابن زولاق في تاريخه أن رجلا من الأندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الأوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم إنه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر فكاد أن يلقي نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له ألفت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته

فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شيء لا إله إلا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالإضافة إلى قدره الله تعالى قليل وإذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب

قائله والجاهل إذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسماوات ما يدل عليه قوله تعالى (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) فلا تكن منكر العجائب فكل الأشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف (يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه (ومن شاهد حجر المغناطيس (الواحد وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذي أودعه هذا السر قادر على كل شيء فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فإن الله تعالى قال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) قال صاحب تحفة الألباب إن في بلاد السودان أمة لا رؤوس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير

الملوك وذكر في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن في ماء عندهم فيحبلن من ذلك وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرانا أبدا وقيل إن ولد تبع اليماني وصل إليهم لما أراد أن يصل إلى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وإن ولد تبع هذا كان إسمه أفريقش وهو الذي

بنى إفريقية وسماها باسمه وأنه وصل إلى وادي السبت وهو واد يجري فيه الرمل كما يجري فيه السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان إلا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل إليه أقام إلى يوم السبت فسكن جريانه فعبره إلى أن وصل إلى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الأمة التي لا رؤوس لهم أعينهم في مناكبهم وأفواههم في صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم وأما الملك العظيم والعدد الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء

والأمن الذي لا خوف معه ففي بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفي بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدرصيتي والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والأدوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك في سرعته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون أذكى من المسك الأذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال وحكي إنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في إحداها تمثال الأرض فإذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرج أنهارها عليهم في التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد التمثال لا سيد في ذلك البلد وفي الثانية حوض إذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه

أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه ذلك الحوض فاختلطت الأشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذي جاء به وفي الثالثة طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فإ ن كان حيا سمع له صوت وإن كان ميتا لم يسمع له صوت وفي الرابعة مرآة إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب فيها فأبصروه على أي حالة هو عليها

كأنهم يشاهدونه وفي الخامسة أوزة من نحاس فإذا دخل الغريب صوتت الأوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تطل إلا ساقها فإن جلس تحتها أحد أظلته إلى ألف شخص فإذا أرادوا على الألف واحدا جلسوا في الشمس كلهم ولو بسطت المقال في ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت في ذلك على ما ذكرت والله

سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع والستون في خلق الجان وصفاتهم روي عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الألباب أنه قال قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وقال الله تعالى في موضع آخر (وخلق الجان من مارج من نار) وقيل إن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الأخبار أن نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا في الأرض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على

الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما في السماء وكثرت نعم الله عليهم إلى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم إلى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالأرض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم إبليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض

وجرت بينهم وقائع وحروب وكان إبليس لعنه الله يصعد إلى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الأرض مدة طويلة إلى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم

إلى الأرض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل إبليس إلى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل إنه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم إليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم إيذاء للخلق وفي الحديث أن إبليس لعنه الله قال يا رب أنزلتني إلي الأرض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الأسواق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصائد قال النساء

فصل في مكايده لعنه الله

منها أنه كان في بني إسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها إلى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء إبليس إلى العابد وقال إن لجارك عليك حق الجوار وإن له بنتا مريضة فما ضرك لو جعلتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد

دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له إبليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء له إبليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان إلى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا إلى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه إبليس اللعين في الطريق فقال له إن سجدت لي خلصتك منهم

فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكائد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين
ومن ذلك ما اتفق أن بني إسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفأس ليقطعها فعارضه إبليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشيء لا يعود عليه نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم إلى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع

قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذا العابد الفأس وذهب إلى قطع الشجرة فعارضه إبليس في الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه إبليس وجلس على صدره وقال له إن لم ترجع عن قطعها وإلا ذبحتك فقال له العابد خل عني واخبرني كيف غلبتني فقال له لما غضبت لله غلبتني ولما غبت لنفسك غلبتك

ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهو لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

فصل في المتشيطنه وهم أنواع كثيرة منها الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الإنسان

حكى بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم

بعض من في المركب ومنها السعلاة
يحكى أن صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى
للرجال وحكي أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة
وولدت منه أولادا ذكورا وإناثا فلما كانت ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت
فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تنر نيران السعالى وتغير لونها
وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم ط ارت ولم تعد إليه ومنها نوع يقال له
المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم
وحكي أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب
العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة إنه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من
كرامتي والله إني لأعلم أنه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من
يحمل الفانوس بين يدي الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم

من ينشد الشعر
وقال بعض المسافرين أبق لي غلام فخرجت في أثره فإذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة ؟ فقلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامي ؟ قال كعلمي بجهلك قلت أو جاهل أنا ؟ قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتاني بالغلام مقيدا فلما رأيته غشي علي فلما أفقت قال أنفخ في يده ففعلت فانفرج العيد عنه وصرت لا أنفخ في شيء من ذلك ولا في وجع من الأوجاع إلا برئ ووخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يخطف النساء يقال إن رجلا اختطفت ابنته في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة إذا عرض لي قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتي وضللت عنهم فبينما أنا سائر في أثرهم إذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت إلى جانبها وإذا أنا

بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفني عفريت يقال له ظليم وجعلني ههنا فهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار فقلت لها امضي معي فقالت أهلك أنا وأنت فإنه يتبعنا ويأتينا فيأخذني ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلي وما زلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتي فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فإذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان في الأرض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتي وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشد يقول

(... يا ذا الذي للحين يدعوه القدر)

(... خل عن الحسناء ثم سر)

قال (... وإن تكن ذا خبرة فينا اصطبر)

فأجبته

(... يا ذا الذي للحين يدعوه الحمق)

(... خل عن الحسناء رسلا وانطلق)

قال (... ما أنت في الجن بأول من عشق)

فتبدى لي في صورة أسد وجاذبني وجاذبته ساعة فلم يظفر أحد منا بصاحبه فلما أيس مني قال هل لك في جز ناصيتي أو إحدى ثلاث خصال ؟ قلت وما هن ؟ قال

مائتان من الإبل أو أخدمك أيام حياتي أو ألف دينار الساعة وخل بيني وبين الجارية فقلت لا أبيع ديني بدنياي ولا حاجة لي بخدمتك فاذهب من حيث أتيت فال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية إلى أهلها وتزودت بها وجاءني منها أولاد

وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن أجيبوا نبي الله سليمان بن داود بإذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران و الأودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا إذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر إلى ألوانها فإذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس أسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم

وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الأنواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الأشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال إلهي ألبسني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهو يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والأحجار والأشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤول في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الأنهار والآبار وفيه فصول

الفصل الأول في ذكر البحار

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق

الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها إلا الله سبحانه وتعالى ثم نظر إليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى (وكان عرشه على الماء)
واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وإن بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الأسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخرز وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الأسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين إن وضع رجله في البحر حصل له المد وإذا رفعها حصل له الجزر قيل إنما سمي البحر الأسود لأن ماءه فيه

رأى العين كالحبر الأسود فإن أخذ منه الإنسان في يده شيئا رآه أبيضا صافيا إلا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فإذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لأي شيء ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الألوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل إن تغير الماء بلون الأرض

وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله إلى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل

فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيئا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذي في وقب عينيها بالفلال ونقطع منه القطعة كالثور

ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمها فتطعمونا فأرسلنا له منه فأكله
وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها إلى مجمع البحرين فتتبعها فتضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع إلى البحر الأسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين
وقال صاحب تحفة الألباب ركبت في سفينة مع جماعة فدخلنا إلى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبي ينخلع وسقطت على وجهي أنا وغيري ثم ألقت السمكة نفسها في البحر

فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت في البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها إلى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكنا بيننا وبينها في البحر أكثر من فرسخ فسمعت المالحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار إذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول أن جماعة ركبوا سفينة في البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا إلى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر وإذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شيء لا إله إلا هو ولا معبود سواه وقيل إن في البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال إنها تخرج من البحر إلى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فإذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والأخشاب لأنها إذا سمعت تلك الأصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله

ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الألباب كنت يوما في البحر على صخرة فإذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلي فتباعدت عنها فأخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فأمسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فإذا هي خمس حيات في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بأم الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية اكثر من عشرين ذراعا وأنا تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وأن جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيئا قال ورأيت مرة في البحر صخرة عليها شيء كثير من النارنج

الأحمر الطري الذي كأنه قطع من شجرة فقلت في نفسي هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت إليه فقبضت منه نارنجة فإذا هي ملتصقة بالحجر فجذبتها فإذا هي حيوان يتحرك ويضرب في يدي فلففت يدي بكم ثوبي وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة إلا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لأي شيء يصلح ذلك
قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك في أيام الشتاء وليس في تلك الأرض التي كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الأولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لي هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفي البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر

كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجل الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك أنه إذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما ما دام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل إن في بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم وتحمل إلى سائر البلاد وهي أحسن وأقوى من أنياب الفيل وإذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد إذا دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على

حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى فإذا رفع يده زالت عنه الرعدة فإن أعادها عادت إليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته
وقال صاحب تحفة الألباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هارون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند فراى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبر بالحسنة فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر إلى ذنبه ساعة ثمن غاص في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تنجي الغريق لأنها تدنو منه حتى تضع يده على ظهرها فيستعين بالإتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة
وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل إن بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف والآت الطرب فيجتمع المسك ويقع في تلك الحفائر وقيل إن الدرفين وأنواع

السمك إذا سمعت صوت الرعد هربت إلى قعر البحر وقيل إن خيل البحر توجد بنيل مصر وهي صفة خيل البر وقيل إنها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع وإذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان وقيل إن في البحر المحيط شيئا يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى أن فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهي كثيرة الأمطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم
ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال إن الاسكندر لما سار إلى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا إلى مراكبه
وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه

ويقال إنه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال إن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الأبدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال إن هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وإن هذه الأمة التي بها يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهم في غاية اللطافة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الأشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبي ويقال إن هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وإن بعض المسافرين وصل إليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من

العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فإذا انتهى سمع له تصويت يفهم من واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل إن سلاسل خيمهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال إن بها ثلاثمائة مدينة ونيفا سوى القر والأطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبالى تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام وإذا جاوزت السفينة الأبواب سارت في ماء عذب حتى تصل إلى الموضع الذي تريده وفيها من الأودية والأشجار والأنهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين

وقيل إن الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام وإذا بحيوان عظيم صعد من البحر إلى أعلى وسد الأفق فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم ؟ فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط علي حيوانا من البحر قال

فإذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب في البحر فتبارك من له الملك العظيم لا إله إلا هو العزيز الحكيم وقيل إن بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها إلا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهي حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك وإذا أراد إنسان الدخول فيها حثى وجهه التراب فإن أبى إلا الدخول خنق أو صرع وقيل إنها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال إنهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق إنسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون إذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بجير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال

فقلت لرفيقي دعهما قال فلما وثقا بنا نزلا هاربين فنبعهما الكلبان وجدا في الجرى فامسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول
الويل لي مما به دهاني ... دهري من) الهموم والأحزان)
قفا قليلا أيها الكلبان ... إلى متى إلي)
قال فأخذناه ورجعنا فذبحه (تجريان رفيقي وشواه فعفته ولم آكل منه شيئا فتبارك الله ما اكثر عجائب خلقه لا إله إلا هو ولا معبود سواه
الفصل الثاني في ذكر الأنهار والآبار والعيون
قال الله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع

في الأرض) وقال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الأرض وجعله عيونا ومسايل ومجاري كالعروق في الجسد فمن الأنهار ما هو من الأمطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الأرض وأطول ما يكون

من الأنهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ إلى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهي إلى البحار والبطائح وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر المالح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير إلى بعضها فنقول
النيل المبارك ليس في الأنهار أطول منه لأنه مسيرة شهرين في بلاد الإسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل إن مسافته من منبعه إلى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف في زيادته فقيل إن الأنهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث " إنه من أنهار الجنة " وقال أهل الأثر إن الأنهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور
نهر الفرات يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الأبيض ما تكون الواحدة قنطارا

بالدمشقي وطول هذا النهر من حين
يخرج من عند ملطية إلى أن يأتي إلى
بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه
مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات
جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة
ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى
خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى
خوارزم لأنها منسفلة عنه ثم يصب في
بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو
يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء
يجري من تحت الجمد فيحفر أهل

خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها وإذا
اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل
المحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق
ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين
سيحون نهر عظيم قيل إن مبدأه من حدود
الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانه
وربما يجتمع مع جيحون في بعض الأماكن
الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك
وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا
قيل مقداره ثلاثمائة فرسخ وفي بعض

الأوقات يفيض حتى قيل إنه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه
حكي إنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروي في الأثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم إلى أن حفر دجلة والفرات
وأما الأنهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول نهر حصن المهدي قال صاحب تحفة الألباب إنه بين البصرة والأهواز وإنه يرتفع منه في بعض الأوقات شيء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه
نهر أذربيجان قيل إن بالقرب منه نهرا يجري فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في التاسعة وقيل إنه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل إن في تلك الأرض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء

قدير نهر صقلاب يجري فيه الماء يوما واحدا في كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام

نهر العاصي بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم
مدينة حمص كعبة القصف أصبحت ...)
(يطوف بها الداني ويسعى لها القاضي
بها روضة من حسنها سندسية ... تعلق)
(في أكناف أذيالها العاصي
نهر العمود بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقي نفسه فيتقطع
نهر باليمن قال صاحب تحفة الألباب إنه عند طلوع الشمس يجري من المشرق إلى

المغرب وعند غروبها يجري من المغرب إلى المشرق نهر ببلاد الحبشة والسودان يجري إلى المشرق يشبه النيل في زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالأراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند في الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجري في بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب في البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا إله إلا هو الحكيم الخبير

الفصل الثالث في ذكر الآبار

قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شيء غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت إليها فلما وصلت إلى ذلك

المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت في بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بي وسألني عن حاجتي فذكرت له غرضي فأمر يهوديا معي فيوقفني على البئر ويطلعني على الملكين قال فسرنا إلى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرني أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت

الملكين رأيت شيئا كالجبلين العظيمين منكسين على رؤوسهما الحديد من أعناقهما إلى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودي فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك

بئر برهوت بقرب حضرموت وهي التي قال النبي إنها مجمع أرواح الكفار قال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع إلى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوي إليها الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة بئر عسفان ماؤها يستشفى به قيل إن النبي تفل فيها قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل إن النبي توضأ منها

بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها إذا شرب منها المكلوب زال كلبه ما لم يجاوز الأربعين وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروزج وإنما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الأرض لمحة واحدة ويجري فينتفع به في

سقي الزرع ثم يعود إلى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا إله إلا الله ولا معبود سواه

الباب السادس والستون في ذكر عجائب الأرض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول
الفصل الأول في ذكر الأرض وما فيها من العمران
روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي أنه قال إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب إلا كخردلة في كف أحدكم وقال رواة الأثر إن لله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الأرض سبعة الأقليم الأول الهند والثاني الحجاز والثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك

السابع اقليم الصين وأوسط الأقاليم
اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب
وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد
في وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت
ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم
وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل
الجبال ودمامة أهل الصين والممالك
المشهورة التي ضبطت عدتها في زمن
المأمون ثلاثمائة وثلاث وأربعون مملكة
أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام
وقال أهل الهيئة إنه يكون عند خط
الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان
وشتاءان في سنة واحدة وأنه

يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة
أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد
فسبحان من خلق كل شيء فأتقنه لا إله
إلا هو ولا معبود سواه
الفصل الثاني في ذكر الجبال
قيل إن الله تعالى لما خلق الأرض ماجت
واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها
فاستقوت ومجموع ما عرف بالأقاليم

السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ إلى ألف فرسخ
ولنذكر منها ما هو مشهور ومعروف بين الناس فمن أعجبها جبل سرنديب وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفي أوديته الماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد
جبل الروم الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي إلى بحر الظلمات
جبل أبي قيس سمي بذلك لآن آدم عليه الصلاة والسلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس وقيل غير ذلك
جبل القدس جبل شريف مبارك فيه غار يضيء بالليل من غير سراج ويزوره الناس
جبل أروند بهمذان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة في السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها جبل الشام لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب
جبل الأندلس فيه غار إذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان إحداهما باردة والأخرى حارة والمسافة التي بينهما مقدار شبر وجبل به معدن

الكبريت والزئبق والزنجفر

جبل سمرقند يقطر منه ماء في الصيف يصير جليدا وفي الشتاء يحرق من حرارته
جبل الصور بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين وإذا سحق وطرح في الماء يرى كذلك جبل الأرجان بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا جبل هرمز ينزل منه ماء إلى وهدة فإن صاح إنسان
صيحة وقف فإن ثنى جرى جبل الطير بإقليم الصعيد يجتمع عنده الطير في كل سنة مرة ويدخل في كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب في تلك النسنة
ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآه الزمان
الفصل الثالث في ذكر المباني العظيمة وغرائبها وعجائبها
قال أهل التواريخ ونقلة الأخبار أن أول بناء بني على وجه الأرض الصرح الذي بناه

نمرود الأكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه إلى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا كان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح في ليلة واحدة بصيحة فتبللت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل
إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
حكى الشعبي في كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع

الدنيا وكان قومه قوم عاد الأولى زادهم الله بسطه في الأجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى الله تعالى فقال له شداد إن آمنت بإلهك فماذا لي عنده ؟ قال يعطيك في الآخرة جنة

مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبني مثل هذه الجنة ولا أحتاج إلى ما تعدني به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الأمراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا في الأرض حتى وصلوا إلى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الأرض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الأساس إلى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الأرض ثم أحاطوا به سور ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر إذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث إلى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك في أحد من الناس في جميع الدنيا شيئا من الذهب إلا غضبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من

أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى في وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الأنهار أنواع الأشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلئ وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرد واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك

ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر في مشارق الأرض ومغاربها أن يتخذوا في البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أواني الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه

خرج شداد من حضرموت في أهل مملكته وقصد مدينة إرم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت إلى ما كان هود يعدني به بعد الموت وقد حصلت عليه في الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم في طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى (وإنه أهلك عادا الأولى) وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل في تلك البرية التي بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضيء كالمصابيح فإذا وصلوا إليها لم يجدوا هناك شيئا

وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله يقال له عبد الله بن قلابة الأنصاري دخل إلهيا وذلك أنه ضلت له إبل فخرج في طلبها فوصل إليها فلما رآها دهش وبهت ورآى ما أذهله وحيره وقال في نفسه هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل إليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والأنهار والأشجار ولم ير في المدينة أحدا فقال ارجع إلى معاوية

وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيئا من تلك الجواهر واليواقيت في وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعدما ظفر بإبله ثم دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية في اليقظة رأيتها أم في المنام ؟ قال بل في اليقظة وقد حملت من حصبائها وأخرج له شيئا مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل إلى كعب الأحبار رضي الله

عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا إسحاق هل بلغك أن في الدنيا مدينة من ذهب ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل في القرآن لنبيه بقوله عز من قائل (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الأمة يقال له عبد الله بن قلابة الأنصاري ثم

التقت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفه واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده إلى يوم القيامة وقيل إن ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأن الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال إن النبي قال يدخلها بعض أمتي والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن المباني العجيبة الخورنق الذي بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر بناه في عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشي أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن) ومن المباني (فعل كما يجزى سنمار

العجيبة حائط العجور واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش إلى إسوان شاملا لكورة مصر من الجانب

الشرقي وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل إنها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل إلى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى

المباني العجيبة الأهرام وهي بالجانب الغربي من مصر مشاهدة في زماننا هذا قيل أن دور الهرم الأكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون إلى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل إن كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا في عرض عشرة أذرع وقد أحكم إلصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على إحكامه وهي من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه) ما يومه ما المصرع)

تتخلف الآثار عن سكانها ... حينا ويدركها) وزعم قوم أن الأهرام (الفناء فتصرع الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل المأمون إلى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزاليق ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد في أعلاه بيت وفي وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال إن الذي بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهي آفة تنزل من السماء وهي الطوفان فقالوا إنه بناها في ستة أشهر وقال قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والأمر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم ومن المباني العجيبة منار الاسكندرية التي بناها ذو القرنين قيل إنها كانت مبنية بحجارة منهدمة مغموسة في الرصاص

فيها نحو من ثلاثمائة بيت تصعد الدابة بحملها إلى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال إن طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل من نحاس منها تماثل رجل قد أشار بيده إلى البحر فإذا صار العدو على نحو ليلة منه

له تصويت يعلم به أهل المدينة مجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت تصويتا مطربا ويقال إنه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرص وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فإن كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فإذا مالت الشمس للغروب أرادوا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق السفن ولم تزل كذلك إلى زمن الوليد بن عبد الملك

قال المسعودي قيل إن ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل إليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل إنهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الأموال وقالوا للوليد إن تحت المنارة كنوزا لا تنفذ وبازائها خبية بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فإن كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيئا وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا إليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيئا مثل ما كانوا يرون أولا وبطل إحراقها فندموا على مافعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ذوقد علمت الجن لسليمان بن داود عليهما

الصلاة والسلام في الإسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة إذا نظر الانسان إليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طولة مائة وأحد عشر ذراعا وفي تلك الأعمدة عمود واحد يتحرك

شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه إلا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجأة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا

يلاصقها دار أخرى ولك دار كالقلعة الحصينة إذا خاف تلك النواحي من العدو دخلوا إلى تلك المدينة فينزل كل إنسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لإحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجأة لأنهم يلجأون إليها عند الخوف

ومن المباني العجيبة إيوان كسرى أنو شروان بناه سابور ذو الأكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شراريفه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الإيوان فأخرجوا منه ألف دينار ذهبا ووحكي أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته في بنائه فقيل له إن نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليه فوجد الأمر كذلك وقيل إن بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه

وحكي أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها

مرآة إذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر في تلك المرآة فيرى صورة الزاني فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والستون في ذكر المعادن والأحجار وخواصها

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة إلى ما لا يذوب وإلى ما لا يذوب والذي اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والأسرب والخارصيني ولنبدأ أولا بذكر (الذهب) فقيل طبعة حار لطيف لشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل إن النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من دهنيته

والبراقة من صفاء مائه
خواصه يقوي القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوي العين كحلا ويجلوها إذا كان ميلا ويحسن نظرها وإذا ثقبت به الأذن لم تلتحم وإذا كوى به لم ينفط يبرأ سريعا وإمساكه في الفم يزيل البخر
قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى (الفضة) بالتراب وإذا أصابها رائحة الرصاص
والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت أسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم إذا وضعت فيه وإذا أذيبت مع الزئبق وطلي بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول
قريب منها لكنه أيبس وأغلظ (النحاس) في الطبع
ومن خواصه إذا صدئ وطلي بالحامض زال صدؤه والأكل في آنيته يولد أمراضا لا دواء لها
كثير الفائدة إذ ما من صنعة إلا وله (الحديد) فيها مدخل

ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم إذا علق عليه وحمله يقوي القلب ويزيل الخوف والأفكار والأحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الأرض ومن خواصه أنه إذا ألقي في قدر لم ينضج ما فيها (الأسرب) هو الرصاص (ومن خواصه) أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول في كل شيء وإذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها (الخارصيني) حجر لونه أسود لونه يعطي حمرة ومن خواصه إذا عمل منه مرآة ونظر فيها في الظلمات نفعت للقوة وإذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت الأحجار الجوهرية أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل أن حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع إلى البحر فينزل إلى قراره ولا يزال طابقا أذناه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فإن كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وإن كانت كبيرة فكبيرة فإن كان في بطن هذا الحيوان شيء من الماء المر كانت الدرة كدرة وإن لم يكن

كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل إنه تصل الواحدة إلى مثقال
خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفي دم القلب وإذا خلط مع الكحل شد عصب العين
سيد الأحجار وأصول الوانه (الياقوت)
أربعه الأحمر والأصفر والأزرق والإسمانجوني ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الأحمر الخالص الرماني الشبيه بحب الرمان الأحمر ودونه الأحمر المشرب ببياض ثم الوري ثم الخمري ثم العصفري وأردؤه الأزرق الذي لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الأبيض
خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار

ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوي القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والأبيض منه يبسط النفس ويوجد من الأصفر ما

وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل
هو مقارب الياقوت في القيمة (البلخش)
ودونه في الشرف ومن خواصه أنه يورث
قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو
ألوان أحمر وأخضر وأصفر
أصناف أحمر مفتوح اللون صاف (البنقش)
وأحمر قوي الحمرة وأسود يعلوه حمرة
مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح
اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن
الياقوت والغالب عليه البياض الناصع
باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة
وفي مائيته سر إذا حرك يمينا تحركت
يسارا وبالعكس ومن خواصه إذا علق على
العين أمن عليها من الجدري على ما قليل
(الماس) يوجد بواد بالهند يقال إنه
مشحون بالحيات فيأتي من يريد
استخراجه من ذلك الوادي فيضع في
الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنظر
إلى خيالها في المرآة فتفر من ذلك
الجانب فينزل فيأخذ ما له فيه رزق وقيل
إنهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها في
ذلك الوادي فيلتصق الماس وغيره باللحم
فتأتي الطير فتختطف اللحم وتصعد به
إلى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر
فيأخذه صاحب اللحم وقيل إن الحيات لها

مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فإذا ذهبت إلى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر في غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره أنه إذا أريد كسره جعل في أنبوبة قصب وضرب فإنه يتفتت وكذا إذا جعل في مع أو قار وإذا جعل عليه شمع تيس وقرب من النار ذاب
ومن خواصه أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه إذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الأمعاء
ومن خواصه الجليلة أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم

ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر (الزمرد) وزنجاري وصابوني ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوي البصر ويصفي الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان إسحاقي وخلنجي وأجوده الاسحاقي الأزرق الصافي خواصه النظر فيه يجلو

البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج وإذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمن أجود
خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والأناة وتصويب الرأي ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الجدة عند الخصومة قال رسول الله (من تختم بالعقيق لم يزل في بركه)
هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن (الجزع) والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لأنه يورث الهم والأحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبي وسيلان لعابه ويثقل اللسان إذا سحق وشرب ماؤه وإذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور وإذا أريد قطع البلور في ذلك

الموضع قطع في الليل لأنه في النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لأنه بتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا في معدنه فإذا فارقه تحجر ويبس

خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس في العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الأسنان وإذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل إنه شجر ينبت وقيل إنه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندي لا يعمل فيه الحديد والبيت الذي يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولأجل ذلك كان الاسكندر يجعله في عسكره (الحجر الماهاني) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد

) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته إن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته أنه إذا سقي إنسان من محكه يفعل فعل السم وإذا سقي شارب السم منه نفعه وإذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب وإذا طلي بحكاكته بياض البرص أزاله وإن علق على إنسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه أنه يقوي النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وإدمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر وإذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد في بحر الهند وهناك لا يتخذ في السفن حديد ويوجد ببلاد الأندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب إلى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه في العنق يزيد في الذهن وإذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه وإذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته وإذا غسل بالخل عاد إلى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد في عشه حجران أحدهما

أحمر والآخر أبيض فالأحمر إذا علق على من يفزع في نومه زال فزعه والأبيض إذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) إذا دخن البيت بسحافته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال

وخاصيته أنه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا
ومن خاصيته أنه يحسن الذهب ويزيد في صفرنه وعن النبي أنه قال يا علي ابدأ بالملح واختم به فإن فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال أرسطو ينفع الأرحام التي غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها وإذا ألقي في العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال أرسطو من تختم به عظم في أعين الناس وينفع من السهر وا لله أعلم ومن أراد التعمق في ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد

ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن والستون في الأصوات والألحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه وما ذكرت ذل إلا لأني كرهت أن يكون كتابي هذا بعد اشتماله على فنون الأدب والتحف والنوادر والأمثال عاطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

فصل في الصوت الحسن

قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) هو الصوت الحسن وعن النبي أنه قال أتدرون متى كان الحداء ؟ قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال إن أباكم مضر خرج في طلب مال له فوجد غلاما قد تفرقت إبله

فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام في الوادي وهو يصي ح وايداه فسمعت الإبل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الإبل فاشتق الحداء وقال النبي لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد رأيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل إن داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج

إلى صحراء بيت المقدس يوما في الأسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا تضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادي للمنصور وكان يضرب المثل

بحدائه مر يا أمير المؤمنين بأن يظمأوا إبلا ثم يورودها الماء فإني آخذ في الحداء فترفع رؤوسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فصل بقي من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحينت إليه الروح ألا ترى إلى أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان واستراحت إليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن إلا أنه ليس في الأرض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا صيد إلا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فإنه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالألحان الحسان إلى خيري الدنيا والآخرة فمن

ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف وصلة الأرحام والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره ولأهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن

القلوب إلى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول إن النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت ... إصغاؤه إلى (وزعموا أن في البحر دواب (حنين الصوت ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشي من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الألحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على

سامع الصوت الحسن للطافة وصوله إلى الدماغ وممازجته القلب ألا ترى إلى الأم كيف تناغي ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والإبل تزداد نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر في مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فتجتمع السمك في الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعي إذا رفع صوته ونفخ في يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت في رعيها والدابة تعاف الماء فإذا سمعت الصفير بالغت في الشرب وليس شيء مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الأصوات الحسنة فإن النفس إذا حزنت خمدت نارها فإذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمدت وما زالت ملوك فارس تلهي المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكير ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيباني

وسماع مسمعة يعللنا ... حتى ننام تناوم)

وحكي أن البعلبكي مؤذن المنصور (العجم

رجع في أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الإبريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن به عبد الله بن أبي عمارة في قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها ... إذا رجعت) (في صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده ... إلى صلصل) وبعد فهل خلق الله (من صوتها يترجع
شيئا أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لا سيما إذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر
(رب سماع حسن ... سمعته من حسن)
(مقرب من فرح ... مبعد من حزن)
(لا فارقاني أبدا ... في صحة من بدن)
وهل على الأرض من جبان مستطار الفؤاد يغني بقول جرير
قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من) إلا شاجن شجعت (شرك المنية ناجي
نفسه وقوي قلبه أم هل على الأرض من

بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغني بقول حاتم الطائي
يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن) إلا انبسطت (الجواد يرى في ماله سبلا أنامله ورشحت أطرافه واختلف الناس في الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ما روي أن النبي قال لحسان (شن الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام) واحتجوا في أباحة الغناء واستحسانه بقول النبي لعائشة رضي الله تعالى عنها (أهديتم الفتاة إلى بعلها ؟ قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني ؟ قالت لم نفعل قال أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول
(أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم)

(ولولا الحبة السمراء ... لم نحلل بواديكم)
ولا بأس بالغناء إذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمه

والعقيقة وغيرها فإن فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روي من إنشاد النساء بالدف والألحان عند قدوم النبي حيث قلن

(طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع)

(وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع)

(أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع)

ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها إنها قالت رأيت النبي يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد الحرام حتى أكون أنا التي أسامه ويدل عليه أيضا ما روي في الصحيحين من حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رشي الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى يدففان ويضربان والنبي متغش بثوبه فانتهرها أبو بكر فكشف النبي عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للنابغة الجعدي أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وإنك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه فسمعته يغني بالركابية يقول
فكيف ثوائي بالمدينة بعدما ... قضى)
وكان جميل بن (وطرا منها جميل بن معمر معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لي أسمعت ما قلت ؟ قلت نعم قال إذا خلونا ما يقول الناس في بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت في القراءة والأذان فإن كانت الألحان مكروهة فالقراءة والأذان أحق بالتنزيه عنها وإن كانت غير

مكروهة فالشعر أحوج إليها لإقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا إلا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنشور ومن حجة من كره الغناء أنه قال أنه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل في أصله وتأولوا في ذلك قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) وأخطأ من أول

هذا التأويل إنما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والأحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون إنها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال رجل للحسن البصري ما تقول في الغناء يا أبا سعيد ؟ فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسي به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتني ؟ قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني ؟ فجعل الرجل يلوي شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخي ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه إلا تشويه وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك سكران يغني هذا البيت

أذلني الهوى فأنا الذليل ... وليس إلى) قال فأخرج دواة (الذي أهوى سبيل

وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة وكان لأبي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه يقول العرجي

اضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم)

قال فأخذه العسس ليلة) كريهة وسداد ثغر وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لأهله ما فعل جارنا الكيال ؟ قالوا أخذه العسس وهو

في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه إلى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع إذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الأمير إن لي جارا من الكيالين أخذه عسس الأمير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى بإطلاق كل من في الحبس إكراما لأبي حنيفة فأقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذي ينشده ؟ قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أدية ثقة في الحديث روي عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل إنه وقفت عليه إمرأة يوما

وحوله التلاميذ فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول
إذا وجدت أوار الحب في كبدي ... عمدت) نحو سقاء القوم أبترد
هبي بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار) وكان عبد الملك (على الأحشاء تتقد
الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة قيل إنه مر يوما بسلامة وهي تغني فاقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظ النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه إياها غنته
رب رسولين لنا بلغا ... رسالة من قبل أن) نبرحا
الطرف للطرف بعثناهما ... فقضيا حاجا) قال فأغمي عليه وكاد يهلك (وما صرحا فقالت له إني والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك ؟ قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا)
ثم نهض وعاد إلى طريقته التي (المتقين
كان عليها وأنشأ يقول
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها ...)
(فاعجب لما تأتي به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم إنما ... سبل)
وقدم عبد الله بن (الضلالة والهدى أقسام
جعفر على معاوية بالشام فأنزله في دار
عياهل وأظهر من إكرامه ما يستحقه
فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية
فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن
جعفر فجاءت إلى معاوية فقالت هلم
فاسمع ما في منزلك الذي جعلته من
لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء
معاوية فسمع شيئا حركه وأطربه فقال
والله إني لأسمع شيئا تكاد الجبال أن تخر
له ثم انصرف فلما كان في آخر الليل
سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو
قائم يصلي فنبه فاختة وقال لها اسمعي
مكان ما أسمعتني هؤلاء قومي ملوك
بالنهار رهبان بالليل ثم إن معاوية أرق
ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من

عند عبد الله بن جعفر وأخبره إني قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير في المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا ؟ قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع إلى مجلسه حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا ؟ قال مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين قال إن أذني عليلة فمره أن يرجع إلى مجلسه وكان مجلس بديح المغني فأمره عبد الله بن جعفر فرجع إلى موضعه فقال له معاوية داو أذني من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فإن الركب مرتحل ... وهل) قال فحرك عبد (تطيق وداعا أيها الرجل الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر ؟ قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت

لأبليت ولو سئلت لأعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات

غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتي جعلت ... ما ابيض) من قادمات الرأس كالحمم (

وجددت منك ما قد كان أخلقه ... صرف) فطرب (الزمان وطول الدهر والقدم

معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين إنك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له إذني ثم ذهب فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته وإلا كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدي قالا بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة إذ سمع غناء فاصغى إليه فإذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا ... ما في التصابي) فنزل عبد الله عن دابته (على الفتى حرج ودخل على القوم بلا إذن فلما رأوه قاموا إجلالا له ورفعوا مجلسه فأقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول

الله أتدخل مجلسنا بلا إذن وليس هذا من شأنك ؟ فقال عبد الله لم أدخل إلا بإذن قال ومن لك ؟ قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام ببابنا يلجوا فولجنا فإن كنا كراما فقد أذن لنا وإن كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت إلا من أكرم الناس فبعث عبد الله إلى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال

اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى وأحفل وكان سليمان أغير الناس فقال لأصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشوك وما أظن أنثى تسمع هذا إلا صبت إليه ثم أمر به فخصي
أصل الغناء ومعدنه قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان

والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال إن أول من صنع العود لامك ابن قاين بن آدم وبكى به على ولده ويقال إن صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء قيل إن أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما
ألا يا قين ويحك قم فهينم ... لعل الله)

وإنما غنتا هذا حين حبس (يسقينا غماما الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الإسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى ... كدت من وجدي)

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور (أذوب وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا ... دلفت لهم)

(بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فإني ... رأيت الخيل)

ومنهم حكم الوادي ومن (تشرب بالصفير غنائه

إمدح الكأس ومن أعملها ... واهج قوما)

(قتلونا يا لعطش

المستطرف [جزء 2 - صفحة 326]

إنما الراح ربيع باكر ... فإذا ما وافت)

وكان لهارون الرشيد جماعة (المرء انتعش من المغنين منهم إبراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما وكان له زامر

يقال له برصوما وكان إبراهيم أشدهم تصرفا في الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول في ابن جامع ؟ قال يا أمير المؤمنين وما أقول في العسل الذي من حيثما ما ذقته فهو طيب قال فإبراهيم الموصلي ؟ قال بستان فيه جميع الأزهار والرياحين وكان ابن محرز يغني كل إنسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل إنسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الأبيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي (من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع ... عليك (ولكن خل عينيك تدمعا

بكت عيني اليسرى فلما نهيتهما ... عن (قال (الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم

وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا إذا قيل له غن قال لمثلي يقال غن علي عتق رقبة إن غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل إلا خرج

يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو معتجر بفضل ردائه فنظر إليه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج إلى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله إن لم تفعلا ما أمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما أمرتنا به فلو امرتنا ان نقتحم النار فعلنا قال فاذهبا إلى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فأمسكاه فإن لم يفعل ما آمره به وإلا فاقذفا به في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة إلا وهما آخذان بمنكبيه فقال

هذا ؟ فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم أنك مأسور في أيديهما وقد أقسمت إن لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما

ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق واقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الأرض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لأحد من أهل المدينة سرور قط إلا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة إلا لأخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك إذا قيل له ما أشد يوم مر عليك ؟ يقول يوم العقيق

وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي عكرمة قال خرجت يوما إلى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فإذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة ؟ قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة اكتبها فقال أدخل بنا إلى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا إذن ؟ فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فما لبث إلا ساعة حتى خرج الغلمان إلي فحملوني

حملا فدخلت إلى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت إلى أبي عيسى قال لي ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كثير فملا انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الأمير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنيين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه ... واخضر فوق) بياض الدر شاربه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 328]

وأشرق الورد من نسرين وجنته ... واهتز) أعلاه وارتجت حقائبه

كلمته بجفون غير ناطقة ... فكان من) ثم سكت وغنى دبيس) رده ما قال حاجبه

الحب حلو أمرته عواقبه ... وصاحب الحب) صب القلب ذائبه

استودع الله من بالطرف ودعني ... يوم)

(الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي ...)
ثم سكت (إرفق بقلبك قد عزت مطالبه
وغنى رقيق
بدر من الإنس حفته كواكبه ... قد لاح)
(عارضه واخضر شاربه
إن يوعد الوعد يوما فهو مخلفه ... أو)
(ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الأوداج صافية ... فقام)
ثم سكت وابتدأ (يشدو وقد مالت جوانبه
المشدود يقول
يا دير حنة من ذات الاكيراح ... من يصح)
ثم سكت وغنى (عنك فإني لست بالصاحي
دبيس
دع البساتين من آس وتفاح ... واعدل)
(هديت إلى شيخ الاكيراح
واعدل إلى فتية ذابت لحومهم ... من)
(العبادة إلا نضو أشباح
وخمرة عتقت في دنها حقبا ... كأنها)
ثم سكت وغنى (دمعة في جفن سياح
رقيق
لا تحلفن بقول اللائم اللاحي ... واشرب)
(على الورد من مشمولة الراح
كأسا إذا انحدرت في حلق شاربها ...)
(أغناه لألاؤها عن كل مصباح

ما زلت أسقي نديمي ثم ألثمه ... والليل) (ملتحف في ثوب امساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه ... يا دير) ثم أقبل أبو عيسى (حنة من ذات الأكيراح على المشدود وقال له غن لي شعري فغناه
يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع ... أم) (للكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم دنف ... بعقرب) (الصدغ من مولاي ملسوع
لا والذي تلفت نفسي بفرقته ... فالقلب) (من فرق الأحزان مصدوع
ما أرق العين إلا حب مبتدع ... ثوب) قال أبو عكرمة (الجمال على خديه مخلوع فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا وحكي عن الرشيد أنه قال يوما للفضل ابن الربيع من بالباب من الندماء ؟ قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية وأمير المؤمنين

يشتهي سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات يا هشام فغناه من شعر جميل حيث يقول

إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا ... جرى) الدمع من عيني بثينة بالحكل

فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها ...) ويا ويح عقلي ما أصبت به أهلي

خليلي فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلا) قال فطرب) بكي من حب قاتله قبلي

الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك قلده عقدا نفيسا فلما رأه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن لهذا العقد حديثا عجيبا إن أذن لي أمير المؤمنين حدثته به فقال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه علي قال هذا

إعرابي قد ظهر من البوادي أدعو به لنسخر به فدعاني فسرت إليه ولم

يعرفني فغنت إحدى الجاريتين بصوت هو لي فأخطأته الجارية فقلت لها أخطأت يا جارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الأعرابي يعيب علينا غناءنا ؟ فنظر إلى كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتر كذا ووتر كذا ففعلت وغنت شيئا ما سمع منها إلا في هذا اليوم فقامت الجارية مكبة علي وقالت أستاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم ابن سليمان أنت ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لي في بر أستاذي ؟ فقال الوليد ذلك إليك فحلت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت هو لك ثم قربوا إليه السفينة ليرجع إلى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه إحدى الجاريتين وأبتعتها صاحبتي فأردات أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي يا هاشم ما نرجع عليك مما وهبناه لك

ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فبعني إياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تعجب فإن الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الأشقر عند الرشيد يوما فأنشده

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى (لمطايانا برؤياك هاديا

ذكرتك بالديزين يوما فأشرفت ... بنات (الهوى حتى بلغن التراقيا

إذا ما طواك الدهر يا أم مالك ... فشأن (قال فطرب (المنايا القاضيات وشانيا

الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له

علي قال أتمنى الهنىء والمرئ وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين إن هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقا الرشيد لا سبيل إلى

استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألفه دينار فرضي بذلك فقال الرشيد إدفعوها له فقاولا يا أمير المؤمنين في إخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى إسحاق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الألحان العجيبة فغنيني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغني شعرا أرتاح إليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحاق فغنيته هذه الأبيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق ... (حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن

قالت تودعني والدمع يغلبها ... فهمهمت (بعض ما قالت ولم تبن

مالت إلى وضمتني لترشفني ... كما (يميل نسيم الريح بالغصن

وأعرضت ثم قالت وهي باكية ... يا ليت (قال فخلع علي (معرفتي إياك لم تكن خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم وقال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة ... فقد حان) منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى ... ويا سؤال) نفسي هل إليك سبيل
وكنت إذا ما جئت جئت لعلة ... فافنيت) علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة ... ولا كل) فقال والله لا سمعت) يوم لي إليك وصول
يومي غيره وألقى علي خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 332]

حذف حذف 332

ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم ما حكي عن إبراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه إني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعدة ؟ فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب

عيش إلى وقت الضحى فقدمت إلينا موائد الأطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا إلى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم إنه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له إذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالأمر المقدر إن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد إذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا إجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت إليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فإنه شيء ما فعلته والله قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت

إلى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى إن في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال أريد أن أشد ظهر ابني إبراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن أن تخفق الألوية على رأسه قال وقد ولاه

أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من إقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين إلى ما سأله من الولاية والمال والرضا إلا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشيد لأنظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث أن دعي بأبي يوسف القاضي ثم

بإبراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج إبراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر الرايات والألوية تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه إلى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج إلينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالأمس ؟ فقصصت عليه القصة حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك ؟ قلت سأنل رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته ؟ قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته ؟ قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته إلى ذلك ثم ماذا قلت ؟ قال وأحب أن تخفق الألوية على رأسه قال فبم أجبته ؟ قلت قد ولاه أمير

المؤمنين مصر قال قد وليته إياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال إبراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم إقدام جعفر على الرشيد أم إمضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الأخلاق وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جمد من الأرض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن إليه فإذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قري أقريكه لفعلت ولكني أجعله قراك

فإني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها ... أرى) الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما)

قال عمر) انقضت أحدوثة لو تعيدها فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها إلي فإذا هي كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السبعون في ذكر القينات والأغاني

حكى علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المتوكل أهدى إليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والأدب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم أنه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال علي بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة إذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك إنما هي جاريتك والرضا والجفاء بيدك

فوالله إنا لفي حديثها إذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المرمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أيتنا حجرتها فإذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو إليه (ولا يكلتمني

كأنني قد أتيت معصية ... ليس لها توبة (تخلصني

فهل شفيع لنا إلى ملك ... قد زارني في (الكرى وصالحني

حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى (قال فصاح أمير هجره وصارمني

المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا ؟ قلت يا مولاي رأيت في منامي هذه الليلة

المستطرف [جزء 2 - صفحة 336]

كأنك قد رضيت عني فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا علي هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى إلى حجرتها وكان من أمرهما ما كان

قيل وكان أمير المؤمنين الواثق إذا شرب رقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده إلا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها إليها فإذا فيها

إني رأيتك في المنام ضجيعتي ...)
(مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأننا ... بتنا جميعا)
(في لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما ... في راحتي)
(وتحد خدك ساعدي
فقطعت يومي كله متراقدا ... لأرك في)
فكتبت إليه على (نومي ولست براقد ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته ... ستناله مني)
(برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي ... وتحل)
(بين مراشفي ونواهدي
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا ... ملح)
فلما مدت يدها (الحديث بلا مخافة راصد لترمي إليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا ؟ فحلفا له

أنه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول إلا أن العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقلت خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لأسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية

من القصر فأمسكها فبكت وقالت له يا سيدي الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق أنه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فإذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقوله

وناهدة الثديين من خدم القصر ...)

(مرقوقة الخدين ليلية الشعر

كلفت بها دهرا على حسن وجهها ...)
(طويلا وما حب الكواعب من أمري
فما زلت بالأشعار حتى خدعتها ...)
(وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئا فقالت بعبرة ... أموت ولا)
(هذا ودمعتها تجري
فلما تعارضنا توسطت لجة ... غرقت بها)
(يا قوم في لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام فجاءني ... وقد)
(زلقت رجلي وصرت إلى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وإنه ... تداركني)
(بالحبل صرت إلى القعر
فأقسمت عمري لا ركبت سفينة ... ولا)
ومن ذلك (سرت طول الدهر إلا على ظهر
ما حدث الشيباني قال كان عند رجل
بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف إليها
وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان
كلما دخل إليها وجد عندها شابا يجالسها
ويحادثها فقال فيها هذه الأبيات
ومظهرة لخلق الله ودا ... وتلقي بالتحية)
(والسلام
أتيت لبابها أشكو إليها ... فلم أخلص إليه)
(من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل ... ولا ألفا)
(خليل كل عام

أراك بقية من قوم موسى ... فهم لا) وقال أبو سويد (يصبرون على طعام حدثني أبو زيد الأسدي قال دخلت على سليمان ابن عبد الملك وهو جالس في إيوان مبلط بالرخام الأحمر مفروش بالديباج الأخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل

واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الأطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الأشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد في مثل هذا حين تصاحبنا فقلت أصلح الله الأمير أو قامت القيامة ؟ قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا ؟ قلت أصلح الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة الفاء أشربها من كفها وأمسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف

ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لأضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الأمير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فإذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان إلى حقويها لها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان إلى الصبر حيلة أو إلى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية إنسية أنت أم جنية سماوية أنت أم

أرضية ؟ فقد أعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا إلا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا إلا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب

عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبا زيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها إنما الذلفاء ياقوتة ... أخرجت من كيس) شراؤها على أخي ألف ألف درهم (دهقان وهي عاشقة لمن باعها والله إن مات ما يموت إلا بحبها ولا يدخل القبر إلا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهيه قم أبا زيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة إليه صارت الذلفاء إليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة

زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس وإليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور إلى أن انصرف من الليل إلى فسطاطه فنزل به جماعة من إخوانه فقالوا له نريد قرا أصلحك الله قال وما قراكم ؟ قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الأكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه إلا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك إن لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الأبيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها ... من آخر الليل لما نبه السحر

في ليلة البدر ما يدري مضاجعها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر

لم يحجب الصوت احراس ولا غلق ... فدمعها لطروق الصوت منحدر

لو مكنت لمشت نحوي على قدم ... تكاد

قال فسمعت (من لينها في المشي تنفطر الذلفاء صوت سنان فخرجت إلى صحن الفسطاط

تسمع فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة قد إلا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال فقال ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت
ألا رب صوت رائع من مشوه ... قبيح) (المحيا واضع الأب والجد
يروعك منه صوته ولعله ... إلى أمة يعزى)
فقال سليمان دعيني من (معا وإلى عبد هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام علي بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له إن سبقت رسول أمير المؤمنين إلى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا

سنان ألم أنهك عن مثل هذا ؟ قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت أن الفرس إذا صهل ودقت له الحجرة وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة وأن الرجل إذا تغنى أصغت له المرأة إياك إياك والعود إلى ما كان منك فيطول غمك

وحكي أن الرشيد فصد يوما فأرسلت إليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الأبيات

فصدت عرقا تبتغي صحة ... ألبسك الله (به العافية)

فاشرب بهذا الكأس يا سيدي ... واهنأ به (من كف ذي الجارية)

واجعل لمن أنفذه خلوة ... تحظى بها في (الليلة الآتية)

قال فنظر الرشيد إلى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها

فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت إليه رقعة تقول فيها هذه الأبيات بعثت الرسول فأبطأ قليلا ... على الرغم (مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول ... فصرت (الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة ... إلى من يجب (قال فاستحسن الرشيد ذلك (رسولا جميلا منها وأرسل إليها أنا عندك الليلة وأهدى داود بن روح المهلبي إلى المهدي جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب إليها يقول
لأهجرن حبيبا خان موعده ... وكان منه (فأرسلت إليه تجيبه (لصفو العيش تكدير
لا تهجرن حبيبا خان موعده ... ولا تذمن ((وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي إلا من حدوث أذى ... لا (وقال محمد بن (يستطاع له بالقول تفسير مروان يصف جارية له
أمست تباع ولو تباع بوزنها ... درا بكى (وكان للمأمون جويرية (أسفا عليها البائع من أحسن الناس وأسبقهم إلى كل نادرة فحظت عنده فحسدها الجواري وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازداد بها المأمون عجبا فمستها

الجواري فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال
اختلست ريحانتي من يدي ... أبكي عليها) آخر الأبد
كانت هي الأنس إذا استوحشت ... نفسي) من الأقرب والأبعد
وروضة كان بها مرتعي ... ومنهلا كان بها) موردي
كانت يدي كان بها قوتي ... فاختلس) الدهر يدي من يدي

المستطرف [جزء 2 - صفحة 342]

وللمتوكل في قينة
أمازحها فتغضب ثم ترضى ... فكل) فعالها حسن جميل
فان غضبت فاحسن ذي دلال ... وان) رضيت فليس لها عديل
وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لأحداهما رشا وللأخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستطرفين فأرسل الهاشمي

إليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله إنك لفي لذتك ولا لذة لي قال وما لذتك ؟ قال تحضر لي نبيذا فإنه لا يطيب لي عيش إلا به فأمر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر إلى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين إلا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المرحاض ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

رحضت فؤادي فخليتني ... أهيم من)

فاندفعتا تغنيانه فقال (الحب في كل وادي في نفسه والله ما أظنهما فهمتا عني وما أظنهما إلا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتي أني المخرج ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا ؟ قالت يقول غنياني

خرجت لها من بطن مكة بعدما ... أقام)

فاندفعتا يغنيانه (المنادي بالعشي فأعتما فقال في نفسه لم يفهما عني وما أظنهما إلا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتي أين المذاهب ؟

فقالت إحداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا ؟ قالو يقول غنياني

ذهبت من الهجران في كل مذهب ... ولم) فغنتاه الصوت (يك حقا كل هذا التجنب فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لم يفهما عني وما أظن القحبتين إلا مدنيتين وأهل المدينة يسمونهابيت الخلاء فقال يا حبيبتي أين بيت الخلاء ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا ؟ قالت يقول غنياني
خلا علي بقاع الأرض إذا ظنوا ... من بظن) قال فغنتاه فقال (مكة واستراعائي الحزن إنا لله وإنا إليه راجعون ما أظن الفاسقتين إلا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتي أين الحشوش ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا ؟ قالت يقول غنياني
أوحشوني وعز صبري فيهم ... ما) قال فاندفعتا (احتيالي وما يكون فعالي تغنيانه فقال ما أراهما إلا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا

حبيبتي أين الكنيف ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغني له
تكنفني الهوى طفلا ... فشيبني وما) اكتهلا (
فقال واويلاه وأعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما يا زانيتان إن لم تعلماني به أنا اعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح علي وطائي ؟ فقال الرجل حياة نفسي أعز علي من وطائك وقيل إنه لما قيل له ويلك ما هذا ؟ قال المضحك هذه الأبيات
تكنفني الملاح واضجروني ... على ما بي) بنيات الزواني (

المستطرف [جزء 2 - صفحة 344]

فلما قل عن ذاك اصطباري ... قذفت به) قال فانبسط الهاشمي (على وجه الغواني ودفع إليه مالا ومضى إلى سبيله
قال علي بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني)
قالت تأتي من (إليك فإن الحب أقصاني
باب الذهب وأنشدت
إجعل شفيعك منقوشا تقدمه ... فلم يزل)
وكان أشعب (مدنيا من ليس بالداني
يختلف قينة بالمدينة فجلس عندها يوما
يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها
ناوليني خاتمك أذكرك به قالت إنه من
ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود
فلعلك أن تعود وناولته عودا من الأرض
وكان بعض القينات من الجمال والحسن
بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت
تنشد
ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا)
(ليست بذات قروح
أباها علي الناس لا يشترونها ... ومن)
وكان المعتصم (يشتري ذا علة بصحيح
يحب قينة من حظاياه فاتفق أنه خرج إلى
مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق
فاشتاق إليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له
وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة بنت
فلانة فأقلقني الشوق إليها فعسى أن
تغنيني شيئا في معنى ما ذكرته لك
فأطرق مليا ثم غناه
وددت من الشوق المبرح أنني ... اعار)

(جناحي طائر فأطير
فما لنعيم ليس فيه بشاشة ... وما لسرور)
(ليس فيه سرور
وإن امرأ في بلد نصف قلبه ... ونصف)
والحكايات في معنى (بأخرى غيرها لصبور
ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت إلى
مجلدات ولكن ما قل وجل خير من كثير
يمل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤول أن
يمدني منه باللطف والعناية ونسأله
التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 345]

الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق
ومن بلي به والإفتخار بالعفاف وأخبار من
مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه
فصول
الفصل الأول في وصف العشق
قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن
المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود
وقال أعرابي العشق خفي أن يرى وجلى
أن يخفى فهو كامن ككمون النار في
الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى

وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولان إنهما إذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن) برقع عن طفلة غير عانس

إذا شق برد شق بالبرد برقع ... من الحب) وقيل لاعرابي ما بلغ (حتى كلنا غير لابس من حبك لفلانه ؟ قال إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم إن شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثأرك منه فقال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 346]

وقالوا يا جميل أتى أخوها ... فقلت أتى) وأنشد الأخفش الحداد (الحبيب أخو الحبيب يقول

مطارق الشوق منها في الحشى أثر ...) (يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى في الجسم موقدة ...)
وفي الجليس (ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر
الأنيس لأبي العالية الشامي قال سأل
أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن
العشق ما هو ؟ فقال هو سوانح تسنح
للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال
ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس
وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه
غامضة وأحكامه جائرة ملك الأبدان
وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون
ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان
طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الأبصار
مدخله وخفي في القلوب مسلكه وكان
شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة
بالأمور قال لسليمان بن عمرو ومن معه
أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء
ونغم فهل فيكم عاشق ؟ قال لا قال
اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح
جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف
وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو
إلى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال
المجنون
قالت جننت على ذكرى فقلت لها ...)
(الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه ... وإنما)

قال (يصرع المجنون في الحين
ذالرياستين إن بهرام جور كان له ابن
وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى
ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس
مسيء

الأدب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين
والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه
وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من
سوء فهمه وقلة أدبه إلى أن سأل بعض
مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف
سوء أدبه فحدث من أمره ما ص يرنا إلى
الرجاء في فلاحه قال وما ذاك الذي حدث
؟ قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها
فغلبت عليه فهو لا يهدأ إلا بها ولا يتشاغل
إلا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم
دعا بأبي الجارية فقال له إني مسر إليك
سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فاعلمه ان
ابنه قد عشق ابنته وأنه يريد أن ينكحها إياه
وأمره أن يأمرها باطماعه في نفسها
ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه
عليها فإذا استحكم طمعه فيها تجتنبه

وتهجره فإن استعملها علمته أنها لا تصلح إلا لملك ثم لتعلمني خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره إليك فقبل أبوها ذلك منه ثم قال للمؤدب والموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت إلى التجني عليه وعلم الفتى السبب الذي كرهته لأجله أخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر في ذلك ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج إلى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له إن الموضع الذي وضع به ابني نفسه من خبر هذه المرأة لا يدري به فتقدم إليه وأمره أن يرفع أمرها إلي ويسألني أن أزوجه إياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه فدعا بأبيها وزوجه إياها وأمر بتعجيلها إليه وقال إذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيئا حتى أصير إليك فلما اجتمعا صار إليه فقال يا بني لا يضعن قدرها عندك مراسلتها إياك وليست في خبائك فإني أمرتها بذلك وهي أعظم الناس منة عليك بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلق

بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي فزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانه سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمر به

وكان عبد الله بن عبيدة الريحاني يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو إليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه إنسان الصلاة يا أبا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس أي حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية في قيسها

لم يكن المجنون في حالة ... إلا وقد كنت (كما كانا

لكنه باح بسر الهوى ... وإنني قد ذبت (كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وإني ليرضيني الممر ببابها ... وأقنع منها (وقال الفتح بن خاقان (بالشتيمة والزجر صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا ... فخطايا (

(أخي الهوى مغفورة
زفرة في الهوى احط لذنب ... من غزاة)
وقال عمر بن أبي ربيعة (وحجة مبرورة
كنت بين امرأتين هذه تساررني وهذه
تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه
وأنشد شيبان العذري يقول
لو حز بالسيف رأسي في محبتها ... لطار)
وقال يحيى بن (يهوي سريعا نحوها رأسي
معاذ الرازي لو أمرني الله أن أقسم
العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين
عذابا
الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق
وعف والافتخار بالعفاف
روي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال قال رسول الله من عشق
فعف فمات فهو شهيد وقال عفوا تعف
نساؤكم وقال بعضهم رأيت امراة
مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة

رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة
؟ فقالت حاجتي أن تنادي في الموقف
بقولي

تزود كل الناس زادا يقيهم ... ومالي زاد)
فناديت كما أمرتني (والسلام على نفسي
وإذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل إلي فقال
أنا الزاد فمضيت به إليها فما زاد على
النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام
فقلت ما علمت ان لقاءكما يقتصر على
هذا فقالت أمسك يا هذا أما علمت أن
ركوب العار ودخول النار شديد ؟ قال
إبراهيم بن محمد المهلبي
كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني ... منه)
(الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني ... منه)
(الفكاهة والتأنيس
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ...)
(وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية ... لا خير في)
وقال بعض بني كلب (لذة من بعدها سقر
إن أكن طامح اللحاظ فإني ... والذي)
ونحو ذلك قول القائل (يملك الفؤاد عفيف
فقالت بحق الله إلا أتيتنا ... إذا كان لون)
(الليل شبة الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها ...)
(وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه ... جميعا ولم)
ونزل رجل على (أقلب لها كف لامس

صديق له مستترا خائفا من عدو له فأنزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شيء وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر إلى امرأة صاحبه ولا إلى منزله إلى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبي ربيعة

عفيفا يصف ويعف ويحرم ولا يرد ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيئا مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين إنه كان يرنو إلي بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيتيه في عشقه ؟ قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له ... مالي بما تحت ذيلها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها ... ما كان إلا

وقد قدمت هذين البيتين الحديث والنظر في الجزء الأول فيما جاء في الكتابة على سبيل الرمز وعن أبي سهل الساعدي قال

دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل إن رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة ؟ قلت أي والله فمن هو ؟ قال إني لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال إني لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسي بريبة قط وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي أنه دعته بغي إلى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه ... والحل لا تأبى (ونستدينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريم (وقال آخر (عرضه ودينه

وأحور مخضوب البنان محجب ... دعاني (فلم أعرف إلى ما دعا وجها

بخلت بنفسي عن مقام يشينها ... ولست (وراود شاب (مريدا ذاك طوعا ولا كرها

ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس (إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت)
(لأخرى صاحب وخليل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 351]

ابن ميادة
موانع لا يعطين حبة خردل ... وهن دوان)
(في الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة ... كما)
وقال آخر (كرهت صوت اللجام الشوامس
حور حرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة)
(صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا ...)
وكان (ويصدهن عن الخنى الإسلام
الأصمعي يستحسن بيتي العباس بن الأحنف
أتأذنون لصب في زيارتكم ... فعندكم)
(شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق إن طال الجلوس به ...)
واختفى (عف الضمير ولكن فاسق النظر
إبراهيم بن المهدي في هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها في الحسن والأدب طلبت

منها بخمسمائة ألف درهم فهويها إبراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهي قائمة على رأسه
(يا غزالا لي إليه ... شافع من مقلتيه)
(أنا ضيف وجزاء المضيف ... إحسان إليه)
ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت إذهبي إليه فاعلميه أني وهبتك له فعادت إليه فلما رآها أعاد البيتين فاكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد
ما إن دعاني الهوى لفاحشة ... إلا نهاني (الحياء والكرم
فلا إلى فاحش مددت يدي ... ولا مشت (بي لزلة قدم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 352]

وقال آخر
يقولون لا تنظر فذاك بلية ... بلى كل ذي (عينين لا بد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة ... إذا (وكان بعض (عف فيما بينهن السرائر
الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد

شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما إذ نظر إلى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا اتق الله أفي مثل هذا المكان ؟ فقال يا أمير المؤمنين والله ما ذاك لخني ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وإن أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر من ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع إليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة إلى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الأبيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني ... طربت وكنت (قد أسليت حينا

أراك اليوم قد أحدثت عهدا ... وأورثك (الهوى داء دفينا

بحقك هل سمعت لها حديثا ... فشاقك أو (رأيت لها جبينا

فقلت شكا إلي أخ محب ... كمثل زماننا (إذ تعلمينا

وذو الشجو القديم وإن تعزى ... محب (

ثم عد الأبيات فإذا (حين يلقى العاشقينا هي خمسة أبيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال وروي عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فإذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 353]

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل) فقالت يا هذا (لا تملينا فما ملك القلب أتعرف قائل هذا البيت ؟ قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه ؟ قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحباك قالت أما والله إن اليوم موعده وعدني العام الأول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني إذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب ؟ قلت نعم قالت إني لأحسبه إياه فأقبل فإذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلب في نفسي محبان

قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة فقمت إلى بعيري لأشد عليه فقال على رسلك إني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة

وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل إذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار واليوم هو يشير إليها وتشير إليه ويعدها وتعده فإن التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم إليها ويجلس بين شعستيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الأصمعي قلت لأعرابية ما تعدون 0lالعشق فيكم ؟ قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

(ما الحب إلا قبلة ... وغمز كف وعضد)

(ما الحب إلا هكذا ... إن نكح الحب فسد)

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق ؟ قلت

نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى ... وصار من) (يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه ... من قبل أن يشهد) وقيل لرجل وقد زفت عشيقته (أو ينحلا على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة ؟ قال نعم والذي أمتعني بحبها وأشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في إثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره إني إذن للئيم لم يلدني كريم ومر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول
ألا طال هذا الليل وازور جانبه ... وليس) (إلى جنبي خليل الأعبة
فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لحرك) (من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يعفني ... وإكرام)
قال فسأل عمر (بعلي أن تنال مراتبه
رضي الله تعالى عنه عنها فقيل له إنها
امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر
فأمر عمر رضي الله تعالى عنه أن لا يغيب
الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر
ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في كتاب
تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن
أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال
بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة إذ
سمع امرأة تقول
هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم)
(من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل ... سهل)
(المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه ... أخي)
(وفاء عن المكروب فراج

عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي
بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في
خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما أصبح

أتني بنصر ين حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لنأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي ؟ قال هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر إليها شيء فدست إليه المرأة أبياتا وهي

قل للإمام الذي تخشى بوادره ... مالي) وللخمر أو نصر بن حجاج (

لا تجعل الظن حقا أن تبينه ... إن السبيل) سبيل الخائف الراجي (

إن الهوى زم بالتقوى فتحبسه ... حتى) يقر بإلجام وإسراج (

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر فإذا هو قد خرج في إزار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبك الله أيبيتن عبد

الله وعاصم إلى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية فقال لها إن ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريدا إلى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فإن البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الأبيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني ... وما) (نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة ... وقد كان) (لي بالمكتين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية ... وبعض) (أماني النساء غرام

المستطرف [جزء 2 - صفحة 356]

ظننت بي الظن الذي ليس بعده ... بقاء) (ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي ... وآباء صدق) (سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها ... وحال لها) (في قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد)
قال فلما قرأ عمر (جب مني كاهل وسنام
رضي الله تعالى عنه هذه الأبيات قال أما
ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة
في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته
وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى
أعلم
الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من
(مات بالحب والعشق
حدث أبو القاسم بن إسماعيل بن عبد الله
المأمون قال حدثني أبي قال كنت
بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها
وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت
القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية
فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت
بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما
لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي
إليه معروفا ؟ قالت يا أمير المؤمنين أما
قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا
أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما
صرت إليه فكتب إلى عامله بالمدينة في
إحضارهم إليه وأن يدفع إلى كل واحد
منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا إلى
باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه
فأذن لهم وأكرمهم غاية الإكرام وسألهم

عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين ما لي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك ؟ قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فإنك لا تسألني حاجة أقد عليها إلا قضيتها قال بلى فلي الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم إن رأيت يا أمير المؤمنين

أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال الفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها ... أو يصنع)
(الحب بي فوق الذي صنعا
ادعو إلى هجرها قلبي فيسعدني ... حتى)
فأمرها فغنت (إذا قلت هذا صادق نزعا
وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية
ثم أمر بالأرطال فملئت وقال للفتى سل
حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن
تغني بهذا الشعر
تخيرت من نعمان عود أراكه ... لهند ولكن)
(من يبلغه هندا
ألا عرجابي بارك الله فيكما ... وإن لم)
فأمرها فغنت (تكن هند لأرضكما قصدا
وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية
ثم أمر بالأرطال فملئت وقال للفتى سل
حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن
تغني بهذا الشهر
م - ني الوصال ومنكم الهجر ... حتى0
(يفرق بيننا الدهر
والله لا أسلوكمو أبدا ... ما لاح بدرا وبدا)
فأمرها فغنت قال فلم تتم الأبيات (فجر
حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد
للجارية قومي انظري ما حاله فقامت إليه
فحركته فإذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه
فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي
فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف

إلا بك فبكت الجارية وبكى أمير

وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده إلا أياما قلائل وماتت
وحكي عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكر الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر ما مر لك في هذه الأغاني وما رأيت من الجواري ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب إلي في شأنها فكتبت إليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فأمسك عني فكانت عندي على تلك الحالة لا أزداد فيها إلا حبا فبينما أنا ذات ليلة إذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وإنه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فإذا به

قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فإذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما إلا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري أصلحي فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت إلى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هي هبة مني إليك فدهش الفتى ولم يجبني فدنوت إلى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها إلى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فإذا هو ميت فلم أر شيئا قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات

وذكر محمد بن واسع الهيتي أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا إلى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أما بعد إذا ورد عليك

كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون إليهن المنتهي في الجمال وأكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا إلى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا إلى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا إلى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر إلى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا إلى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه أني أشتري له ثلاث

جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الأولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فإنها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذا ها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل
بيضاء فيها إذا استقبلتها دعج ... كأنها)
وثمنها يا أمير (فضة قد شابها ذهب المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فإنها جارية فائقة في الجمال معتدلة القدر والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فإنها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري إلى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الأمير إني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني افتأذن لي في ذلك ؟ قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض

مسيرهم نزلوا يوما

المستطرف [جزء 2 - صفحة 360]

ليستريحوا في بعض الأماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن إحداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر إليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا ... وقلبي (باسهام الأسى يترشق)

أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى ... (فأجابته (وقلبي رهين كيف لا أتعشق تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا ... ليلا إذا (قال فلما جن الليل (هجعت عيون الحسد انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأرادأن يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم إلى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجواري بين

يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الأمان قال وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما ... وقد شدت (إلى عنقي يديا

مقرا بالقبيح وسوء فعلي ... ولست بما (رميت به بريا

فان تقتل ففوق القتل ذنبي ... وان تعفو) فقال عبد الملك يا فتى ما (فمن جود عليا حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو إلا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا إلى نحو أهله حتى إذ كانا

ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح

وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما إلى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك
ومن ذلك ما روي عن النبي أنه أخرج خالد ين الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه إلى مشركي خزاعة قال خالد فأخرجني إليهم رسول الله في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير إليهم فسبق إليهم الخبر فخرجوا إلينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الأقران فلولا الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا إلا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله فلما

أخرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأين أصحابي قد كرهوا قالته وتأخروا عنه فملك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البرازيا خالد قال فبرزت إليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل علي فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الأهوال ومارست الأبطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نخن نعترك إذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي إشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق إلهك إلا ما

شددت ابنة عمي على ناقة أخرى إلى جانبي ؟ قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى إلى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الأشعار ويبكيان إلى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة

يسب فيها الإسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الأباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيئا أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله ؟ قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله من موافقتهما وموافقة
ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الأسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها إلى أن أظلم الظلام

وخفيت الطريق فسرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب إليه إلى أن هبطت واديا فإذا راع قد ضم غنما له إلى شجرة وهو ينشد ويترنم وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها ... أرى) الأرض تطوي لي ويدنو بعيدها (من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما) قال فدنوت منه (انقضت أحدوثة لو تعيدها وسلمت عليه فرد السلام وقال من الرجل ؟ فقلت منقطع به الممالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا أنزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطئ وطعام غير بطئ فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله إن هذا لخير كثير فمال إلى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فإني لبين النائم واليقظان إذ سمعت حس شيء وإذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما إليها وما زال يقبل الأرض حتى وصل إليها وجعل يتحادثان فقلت هذا

رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بي نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات إلا أنهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن

أما علمت أني أنتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى استضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداءك الأعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني إلا كما تحب ثم عمد إلى شاة فذبحها وقام إلى نار فأججها وشواها وقدمها إلي فأكلت وأكل معي إلا أنه أكل أكل من لا يريد الأكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه

على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما إلا أنه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت وأعلمته أني أريد الهجوع لما مر بي من التعب بالأمس فقال لي نم هنيئا فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها إلى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الأمر فبكى ثم جاء نحوي فحركني فأوهمته إني كنت نائما فقال يا أخي هل رأيت الجارية التي كانت تتعهدني وجاءتني البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمي وأعز الناس علي وإني لها محب ولها عاشق وهي أيضا محبة لي أكثر من محبتي لها وقد منعني أبوها من تزويجها لي لفقري وفاقتي علي فصرت راعيا بسببها فكانت تزورني في كل ليلة وقد حان وقتها الذي تأتي فيه واشتغل قلبي وتحدثني نفسي أن الأسد قد افترسها ثم أنشأ يقول ... ما بال مية لا تأتي كعادتها ... أعاقها طرب أم صدها شغل (نفسي فداؤك قد أهللت بي سقما ...) قال ثم (تكاد من حره الأعضاء تنفصل انطلق عني ساعة فغاب وأتى بشيء فطرحه بين يدي فإذا هي الجارية قد قتلها

الأسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الأسد فطرحه ثم أنشأ يقول
ألا أيها الليث المدل بنفسه ... هلكت لقد) جريت حقا لك الشرا (

وخلفتني فردا وقد كنت آنسا ... وقد) ثم قال بالله يا (عادت الأيام من بعدها غيرا أخي إلا ما قبلت ما أقول لك فإني اعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فإذا أنا مت فخذ عباءتي هذه فكفني فيها وضم هذا الجسد الذي بقي منها معي وادفناني في قبر واحد وخذ شويهاتي هذه وجعل يشير إليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هي والدتي فاعطها عصاي هذه وثيابي وشويهاتي وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فإنها تموت عند ذلك فادفنها إلى جانب قبرنا وعلى الدنيا مني السلام قال فوالله ما كان إلا قليل حتى صاح ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لأصنعن له ما أوصاني به فغسلته وكفنته في عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقي

جسدها إلى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهي كالولهانة فقالت لي هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فأخذت تصيح وتبكي وأنا ألاطفها إلى أن أقبل الليل وما زالت تبكي بحرقة إلى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فإذا هي مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فإذا هي ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها إلى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فإذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا ...)

(والشمل مجتمع والدار والوطن

فمزق الدهر بالتفريق ألفتنا ... وصار)

قال فأخذت (يجمعنا في بطنها الكفن

الغنم ومضيت إلى الحي لبني عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكي عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت إلى أهلي وأنا متعجب مما رأيت في طريقي

ومن ذلك ما حكي أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لا حجن

لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في

الطواف إذ نظر كثير لعزة وقد مضت إلى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل
حيتك عزة بعد الحج وانصرفت ... فحي) (ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف ... عندي) قال فسمعه (ولا مسك لا دلاج والعمل
الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله ؟ قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل
رحلت جمالهم بكل أسيلة ... تركت) (فؤادي هائما مخبولا
لو كنت أملكهم إذا لم يرحلوا ... حتى) (أودع قلبي المتبولا
ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا ...) فقال الفرزدق (جسمي يعالج زفرة وعويلا نعم فقال كثير والله لولا إني بالبيت

الحرام لأصيحن صيحة أفزع هاشم عبد الملك وهو سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم توادعا وافترقا فلما وصل الفرزذق إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب إليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه إياها فكتب إليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فأصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم إنه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئا فراعك ؟ قال نعم رأيت غرابا عل بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير إلى أن صل إلى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت

صاح صائح لا إله إلا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي ؟ فقال إن هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدي لا دردره ... وأزجره (للطير لا عز ناصره

رأيت غرابا قد علا فوق بانة ... ينتف (أعلى ريشه ويطايره

فقال غراب واغتراب من النوى ... وبانة (ثم شهق شهقة (بين من حبيب تعاشره فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد

وحكى الأصمعي قال بينما أنا أسير في البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا ... إذا حل (فكتبت تحته (عشق بالفتى كيف يصنع

يداري هواه ثم يكتم سره ... ويخشع في (ثم عدت في اليوم (كل الأمور ويخضع الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى ... (فكتبت تحته (وفي كل يوم قلبه يتقطع

إذا لم يجد صبرا لكتمان سره)
فليس له شيء سوى الموت أنفع) ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته
سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا ... سلامي)
(على من كان للوصل يمنع
وحكي أيضا عن الأصمعي رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 367]

في بعض مقابر البصرة إذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول
بروحي فتى أوفى البرية كلها ...)
قال (وأقواهم في الحب صبرا على الحب فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها ؟ فقالت يا هذا إنه ابن عمي هويني فهويته فكان إن أباح عنفوه وإن كتم لاموه فانشد بيتي شعر وما زال يكررهما إلى أن مات والله لأندبنه حتى أصير مثله في قبر إلى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان ؟ قالت
يقولون لي إن بحت قد غرك الهوى ...)

(وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرئ يهوى ويكتم أمره ... من الحب)
ثم إنها شهقت شهقة (إلا أن يموت فيعذرا
فارقت روحها الدنيا رحمه الله تعالى
عليها والحكايات في ذلك كثيرة وفي
الكتب مشهورة ولولا الإطالة والخوف من
الملالة لجمعنا في هذا المعنى أشياء كثيرة
ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والسبعون في ذكر رقائق
الشعر والمواليا والدوبيت وان وكان
والموشحات والزجل والحماق والقومة
والألغاز ومدح الأسماء والصفات وما أشبه
ذلك وفيه فصول الفصل الأول في الشعر
قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام
مرقص كقول أبي جعفر طلحة وزير
سلطان الأندلس
والشمس لا تشرب خمر الندى ... في)
ومطرب (الروض إلا من كؤوس الشقيق
كقول زهير

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه)
ومقبول كقول طرفة بن (الذي أنت سائله العبد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك)
ومسموع مما يقام به (بالأخبار من لم تزود الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز
سقى المطيرة ذات الظل والشجر ...)
ومتروك (ودير عبدون هطال من المطر
وهو كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر
تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى ...)
(قلاقل هم كلهن قلاقل

المستطرف [جزء 2 - صفحة 369]

قسم الناس فنون الشعر إلى عشرة أبواب الحماسة بوب أبو تمام في الحماسية وقال عبد العزيز بن أبي الأصبع الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال

والجواب ولنذكر إن شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر (ابن نباتة)

أأغصان بان ما رأى أم شمائل ... وأقمار (
تم ما تضم الغلائل)

وبيض رقاق أم جفون فواتر ... وسمر (
دقاق أم قدود قواتل)

وتلك نبال أم لحاظ رواشق ... لها هدف (
مني الحشى والمقاتل)

بروحي أفدي شادنا قد ألفته ... غدوت (
وبي شغل من الوجد شاغل)

أمير جمال والملاح جنوده ... يجور علينا (
قده وهو عادل)

له حاجب عن مقلتي حجب الكرى ... (
ناظره الفتان في القلب عامل)

رفعت إليه قصة الدمع شاكيا ... فوقع (
يجري فهو في الخد سائل)

شكوت فما ألوي وقلت فما صغى ... وجد (
بقلبي حبه وهو عازل)

طويل التواني دله متواتر ... مديد التجني (
وافر الحسن كامل)

أطارحه بالنحو يوما تعللا ... فيبدو (
وللأعراب فيه دلائل)

ويرفع وصلي وهو مفعول في الهوى ... (
وينصب هجري عامدا وهو فاعل)

تفقهت في عشقي له مثل ما غدا ...)
(خبيرا بأحكام الخلاف يجادل
فيا مالكي ما ضر لو كنت شافعي ...)
(بوصلك فافعل بي كما أنت فاعل
فإني حنيفي الهوى متحنبل ... بعشقك لا)
(أصغي وإن قال قائل
كمال الدين بن النبيه
الله أكبر كل الحسن في العرب ... كم)
(تحت لمة ذا التركي من عجب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 370]

صبح الجبين بليل ال شعر منعقد ... والخد)
(يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته ... وافتر)
(مبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي ... بل)
(في جنى فمه أو ريقه الشنب
كأنه حين يزمي عن حنيته ... بدر رمى عن)
(هلال الأفق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته ... والهائم)
(الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الأيام يحرمها ... فمي)
(ويلثمها سهم من الخشب

من لي بأغيد قاسي القلب مبتسم ... لا)
(عن رضا معرض عني بلا غضب
فكم له في وجود الذنب من سبب ...)
(وليس لي في قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته ... كما تميل)
(رماح الخط بالعذب
أشار نحوي وجنح الليل معتكر ... بمعصم)
(بشعاع الكأس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ما جليت ... في حجر)
البها زهير (لدن أو في قشرة العنب
يعاهدني لا خانني ثم ينكث ... وأحلف لا)
(كلمته ثم أحنث
وذلك دأبي لا يزال ودأبه ... فيا معشر)
(العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلني يقول نعم غدا ... ويكسر)
(جفنا هازئا بي ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارني ... وكنا)
(خلونا ساعة نتحدث
أمولاي إني في هواك معذب ... وحتام)
(أبقى في الغرام وأمكث
فخذ مرة روحي ترحنى ولا أرى ... أموت)
(مرارا في النهار وأبعث
فإني لهذا الضيم منك لحامل ... ومنتظر)
(لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا ... خلائقك)

(الحسنى أرق وأدمث

المستطرف [جزء 2 - صفحة 371]

تردد ظن الناس في فأكثروا ... أحاديث (
فيها ما يطيب ويخبث)
وقد كرمت في الحب مني شمائل ... (
النابلسي ويسأل عني من أراد ويبحث)
ما كنت أعلم والضمائر تصدق ... إن (
المسامع كالنواظر تعشق)
حتى سمعت بذكرهم فهويتكم ... وكذاك (
أسباب المحبة تعلق)
ولقد قنعت من اللقاء بساعة ... إن لم (
يكن لي الدوام تطرق)
قد ينعش العطشان بلة ريقه ... ويغص (
بالماء الكثير ويشرق)
فعسى عيوني أن ترى لك سيدي ... وجها (
أبو الحسين الجزار يكاد الحسن فيه ينطق)
في خده من بقايا اللثم تخميش ... وبي (
لتشويش ذاك الصدع تشويش)
ظبي من الترك أغنته لواحظه ... عما (
حوته من النبل التراكيش)
إذا تثنى فقلب الغصن منكسر ... وإن (
تبدى فطرف البدر مدهوش)

يا عاذلي إن تكن عن حسن صورته ...)
(أعمى فإني عما قلت أطروش
كم ليلة بات يسقيني المدام على ...)
(روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له ...)
(والبرق رايته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت أرجاؤه طربا ... لأنه)
سيدي أبو الفضل (ببديع الزهر مفروش
بن أبي الوفاء
ترى متى من فتور اللحظ ينتشط ... من)
(قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لي خصره المضنى فناسبني ...)
(فقلت خير الأمور الأنسب الوسط
وقد خفى الردف عني من تثاقله ...)
(فقلت هذا على ضعفي هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا ...)
(والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى ... رمانها)
(فيه قلبي أمره فرط

المستطرف [جزء 2 - صفحة 372]

إن الصواب لتعجيل السرور فقم ... قبل)
القاضي مجد (الفوات فأوقات الهنا غلط

الدين بن مكانس
أهدى تحيته وجاد بوعده ... أفديه من قمر
(بدا في سعده
بدر جرى ماء الحياء بثغره ... وترددت
(فضلاته في خده
أسكنته قلبي فأوقد خده ... نيران
(أحشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل أهيف ... روت
(العوالي عن مثقف قده
يا عاذلي في حبه لو أبصرت ... عيناك
(فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم في حبه ... وعلمت أن
(ضلاله في رشده
فوحق موتي في هواه صبابة ... وحياة
(مبسمه الشهي وبرده
ما جاد غيث الدمع إلا عن هوى ... خلع
(القلوب ببرقه وبرعده
قم يا رسول وابلغ العشاق ما ... ألقاه
(من جور الحبيب وبعده
وإذا سألتك أن تؤدي في الهوى ... خبري
عز الدين (فصف فعل الغرام وأبده
الموصلي والصحيح أن هذه الأبيات لابن نباتة لأنها في ديوانه
نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت ...)
(بأي ذنب وقاك الله قد قتلت

دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت ... ما)
(قدمت من أسى قلبي وما عملت
أفديك من ناشط الأجفان في تلفي ...)
(والسحر يوهم في أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه ... في)
(الأفق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس في لواحظه ... أما تراها)
(إلى كل القلوب حلت
من لي بألحاظ ظبي يدعي كسلا ... وكم)
(ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه ... هذي)
(محاسنها تزهو وذي ذبلت
أما كفاني تكحيل الجفون أسى ... حتى)
(المراشف منه باللمى كحلت

المستطرف [جزء 2 - صفحة 373]

أستودع الله أعطافا شوت كبدي ... وكلما)
(رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لي كم ألقت بمسمعها ... إلى)
غيره للفاضل (الملام ولا والله ما قبلت
شرخ الشباب بحبكم أفنيته ... والعمر في)
(كلف بكم قضيته
وأنا الذي لو مر بي من نحوكم ... داع)

(وكنت بحفرتي لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم ... حب بأيام)
(الشباب شريته
لله داء في الفؤاد أجنه ... يزداد نكسا)
(كلما دوايته
قالوا حبيبك في التجني مسرف ... قاس)
(على العشاق قلت فديته
أأروم من كلفي عليه تخلصا ... لا والذي)
(بطحاء مكة بيته
ولو استطعت بكل إسم في الورى ... من)
وللشيخ بدر الدين (لذة الذكرى به سميته
الدماميني
سل سيفا من الجفون صقيلا ... مذ)
(تصدى جلاه رحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور ... وهو ما زال)
(من قديم عليلا
مر أبدى لنا من الخصر ردفا ... فأرانا مع)
(الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن ... بالهوى نحو)
(وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدي ... فيه يا)
(عاذلي مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير ... أتلف)
(العاشقين إلا قليلا
قلت إذ لاح طرفه ولماه ... فاتر اللحظ)

(بكرة وأصيلا
كيف حالي وهل لصب إليه ... من سبيل)
(فقال لي سل سبيلا

وقال آخر
لو أن قلبك لي يرق ويرحم ... ما بت من)
(ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أنني لا سهم لي ... من)
(ناظريك وفي فؤادي أسهم
يا جامع الضدين في وجناته ... ماء يرق)
(عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل ...)
(فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروءة إن تواصل مدنفا ... والدهر)
وقال آخر (سمح والحوادث نوم
تصدق بوعد إن دمعي سائل ... وزود)
(فؤادي نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما ... وحسنك)
(معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه ... وظل)
(عذاريه الدجا والأصائل
تنقلت من طرف مع القلب والهوى ...)

(وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري ... فهلا)
وقال ابن (رفعت الهجر والهجر فاعل صابر
قبلت وجنته فألفت جيده ... خجلا ومال)
(بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره ... عرق)
(يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده ... بتصاعد)
وقال آخر (الزفرات من أنفاسي
وغزال كل من شبهه ... بهلال أو ببدر)
(ظلمه
قال إذ قبلت وهما فمه ... قد تعديت)
وقال آخر (وأسرفت فمه
بأبي غلام لست غير غلامه ... مذ جاد لي)
(بسلامه وكلامه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 375]

ذو حاجب ما إن رأيت كنونه ... أبدا وصدغ)
وقال جمال الدين بن (ما رأيت كلامه مطروح
ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى ... صب)
(على عرش الغرام قد استوى

تجري مدامعه ويخفق قلبه ... مهما جرى
ذكر العقيق مع اللوى
وإذا تألق بارق من بارق ... فهناك ينشر
من هواه ما انطوى
فخذوا أحاديث الهوى عن صادق ... ما
ضل في شرع الغرام وما غوى
وبمهجتي رشأ أطالت عذلي ... فيه
الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده ... وفتور
عينيه وهل موتي سوى
ما أبصرته الشمس إلا واكتست ... خجلا
ولا غصن النقا إلا التوى
يروي الأراك محاسنا عن ثغره ... يا طيب
وقال آخر ما نقل الأراك وما روى
عبث النسيم بقده فتأودا ... وسرى الحياء
بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى ... لما غدا
بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة ... تالله
قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون إذا اكتست أوراقها ...
وقال غيره وتراه أحسن ما يكون مجردا
يا حسنا مالك لم تحسن ... إلى قلوب في
الهوى متعبة
رقمت بالورد وبالسوسن ... صفحة خد

(بالسنا مذهبة
وقد أبى خدك أن أجتني ... منه وقد)
(ألسعني عقربه
يا حسنه إذ قال ما أحسني ... ويا لذاك)
(اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندي سنا ... وكل ألفاظك)
(مستعذبه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 376]

ففوق السهم ولم يخطني ... ومذ رآني)
(ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبني ... وحبه إياي)
(قد أتعبه
يرحمه الله على أنني ... قتلي له لم أدر)
وقال آخر (ما أوجبه
مليح يغار الغصن عند اهتزازه ... ويخجل)
(بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره ... وما)
وقال يحيى بن (فيه شيء بارد غير ريقه أكثم
دنا هاجري نحوي بمقلته الكحلا ... فلما)
(رأى ذلي ثنى عطفه دلا
فتيمني شوقا وأنحلني أسى ... وأفقدني)

(صبرا وأعدمني عقلا
شكوت فما ألوى وولى وما لوى ...)
(وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
إذا ما دعاه فرط سقمي لزورة ... يناديه)
وقال أيضا (فرط العجب من عطفه كلا
بأبي غزالا غازلته مقلتي ... بين العذيب)
(وبين شطي بارق
وسألت منه زورة تشفي الجوى ...)
(فأجابني عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا في خيمة ... ومن)
(النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله ... صهباء)
(كالمسك الذكي لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه ... وذؤابتاه)
(حمائل في عاتقي
حتى إذا مالت به سنة الكرى ... زحزحته)
(عني وكان معانقي

أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كي لا ينام)
(على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره ... قد شاب في)
(لمم له ومفارق

ودعت من أهوى وقلت تأسفا ... صعب) وقال ابن نباتة (علي بأن أراك مفارقي
بدا ورنت لواحظه دلالا ... فما أبهى) (الغزالة والغزالا
واسفر عن سنا قمر منير ... ولكن قد) (وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه ... سواد العين) (فيه فخال خالا
وممنوع الوصال إذا تبدى ... وجدت له من) (الألفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى ... لنا درا وقد) (سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لأني ... رأيت على) (سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه ... وقد أهدى) (إلى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتي ... وأشكو) القاضي فخر الدين بن (من صنائعه الجمالا
مكانس
يا غصنا في الرياض مالا ... حملتني في) (هواك مال
يا رائحا بعد أن سباني ... حسبك رب) وله أيضا (السما تعالى
أجارك الله قد رثت لي ... مما ألاقي عدا) (وحسد

وعاذلي مذ رأى ضلوعي ... تعد سقما)
ابن رفاعة (بكى وعدد
يقولون هل من الحبيب بزورة ...)
(ومنامكم المطلوب قلنا لهم منا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 378]

فقالوا لنا غوصوا على قده وما ... يحاكي)
الشيخ برهان (إذا ما اهتز قلنا لهم غصننا
الدين القيراطي
ووردي خد نرجسي لواحظ ... مشايخ علم)
(السحر عن لحظه رووا
وواوت صدغيه حكين عقاربا ... من)
(المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح كجمرة ... عليها)
(قلوب العاشقين قد اكتووا
ودي له باق ولست بسامع ... لقول حسود)
(والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة ... فكيف)
وللشيخ برهان (وأحشائي على حبه انطووا
الدين القيراطي أيضا
شبه السيف والسنان بعيني ... من لقتلي)
(بين الأنام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا ... حدنا دون)

(ذاك حاشى وكلا
وله أيضا
بأبي أهيف المعاطف لدن ... حسد)
(الأسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما ... كلمتني)
آخر (سيوفهن محده
تملك رقي شادن قد هويته ... من الهند)
(معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنو بطرفه ... خذوا)
ومما قيل (حذركم قد سل صارمه الهندي
في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديري
خيال سلمى عن الأجفان لم يغب ...)
(وطيفها عن عياني غير محتجب
وذكرها أنس روحي وهي نائية ... والقلب)
(ما زال عنها غير منقلب

لم أصغ فيها للاح راح يعذلني ... ولا)
(لواش خلي بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذب ألذ به ... ومر)
(هجرانها أحلى من الضرب
فإن نأت أو دنت وجدي كما علمت ...)

(تشيب فيه الليالي وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع ... وغير)
وقال عفا الله (طاعته في الحب لم يجب
عنه
سقى طللا حلته سلمى معاهد ... وحياه)
(من دمعي مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع ... وأرض)
(نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد ... ولو)
(كدرت منها علي الموارد
رعى الله دهرا سالمتني صروفه ...)
(وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عني ولم أزل ...)
(ويقظان طرف البين عني راقد
وأيامنا بالقرب بيض أزاهر ... وأوقاتنا)
(بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا ... ونحن كأنا)
(في الحقيقة واحد
وكم قد مرجنا في مروج صبابة ... ولم)
(يطرد فينا من البين طارد
نجر ذيول اللهو في قمص الهوى ... تلوح)
(علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر ... ولم)
(نحسب الأيام فينا تعاند
فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى ...)

(كما كنت لي أم حاد بالقلب حائد
وهل ودنا باق وإلا تغيرت ... على عادة)
(الأيام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا ... وأنساك)
(حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد إذ نحن باللوى ...)
(وقولك لا عاش الخؤون المعاهد
وهل أنت غيرت الذي أنا حافظ ... وهل)
(أنت أحللت الذي أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا ... وفيك)
(يقيني بالوفا منك شاهد
وإني ما بدلت عهدك في الهوى ... ولا)
(اختلفت فيما علمت العوائد

المستطرف [جزء 2 - صفحة 380]

ولا بت مسرورا وعيشك ليلة ... وكيف)
(سلوي والحبيب مباعد
فإن كنت حبل الود صرمت طرفه ...)
(فودي طريف في هواك وتالد
وإن قلت إن الحب غير النوى ... لعمري)
(وجدي بالحشاشة واقد
وإن أوردوا يوما صبابة عاشق ... فبي)
(يضرب الأمثال من هو وارد

فما شئت كوني إني بك مدنف ... صبور)
(على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندي الوصل والجفا ...)
(وفيك لقد هانت علي الشدائد
ولو رمت ألوي عن هواك أعنتي ... لقاد)
(زمامي نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتي ...)
(فكيف خلاصي والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلي أخا الهوى ...)
(وهل يسلي ذا الأشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه ... وسوق)
(سلوي في المحبين كاسد
وجل مناي القرب منك وإنما ... إذا عظم)
وقال عفا الله عنه (المطلوب قل المساعد
تهددني بتبريح وبين ... وتوعدني بتفريق)
(وصد
وتحلف لي لتلبسني سقاما ... تهي جلدي)
(به وتذيب جلدي
وترميني بنبل من جفون ... فتضنيني)
(وتصميني وتردي
وتحرقني بنار الصد حتى ... تذيب)
(حشاشتي كمدا وكبدي
فقلت لها ودمعي في انسكاب ... يفيض)
(دما على صفحات خدي
ومن لي أن يقال قتيل وجد ... واذكر في)

وقال عفا الله عنه (هواك ولو بصدي
سلوي عنك شيء ليس يروى ... وحبي)
(فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميري ... ووجدي)
(فيك أيسره عذابي

المستطرف [جزء 2 - صفحة 381]

ومالك عن سواد العين يوما ... وما لسواد)
(قلبي من حجاب
وما اخضرت دواعي الشوق إلا ... هززت)
وقال عفا الله عنه (إليك أجنحة التصابي
قفا نبك دارا شط عنا مزارها ... وأنحلنا)
(بعد البعاد أدكارها
وعوجا بأطلال محتها يد النوى ... فأظلم)
(بالنأى المشت نهارها
فقدنا بها ريما من الإنس إن رنت ...)
(بمقلتها يصمي القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة ... ويحسن)
(منها صدها ونفارها
ويهزأ بالأغصان لين قوامها ... إذا مال)
(فوق الغصن منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها ... وما هو إلا)
(حجلها وسوارها

منازلها مني الفؤاد وإن نأى ... عن العين)
(مثواها ففي القلب دارها
يمثلها بالوهيم فكري لناظري ... وأكثر ما)
(يضني النفوس افتكارها
وهيج دمعي حر نار صبابتي ... وما خمدت)
(بالدمع مني نارها
وساعدني بالأيك ليلا حمائم ... تهاتف)
(شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع ... وعيني)
ولمؤلفه رحمه (فاضت بالدموع بحارها
الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من أفضاله ستر ما يراه من عيوبه وإن يدعو له بمغفر ذنوبه
نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي ...)
(بلطف وقل عن حال صبك سائلي
فقد صار بالأسقام صبا معذبا ... قريح)
(جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده ... حليف)
(الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا ... يئن)
(غراما فارحميه وواصلي
إلا يا سليمى قد أضر بي الهوى ...)
(وهاجت بتبريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل ... فلم)

(يخط قلبي والحشى ومقاتلي

كتمت غرامي في هواك ولم أبح ... بسر)
(فناحت أدمعي برسائلي
سليمى سلي ما قد جرى لي من النوى ...)
(فقد عاد لي له رق عاذلي
لعل تجودي للكئيب وتسمحي ... بوعد بعد)
(الوعد إن شئت ما طلي
عسى تنطفي بالوعد ناري وأشتفي ...)
(فبالسقم أعضائي وهت ومفاصلي
خفيت عن العواد لولا تأوهي ... وعظم)
(أنيني لا يراني مسائلي
فرقي فقد رقت عداي لذلتي ... وفاضت)
(على حالي عيون عواذلي
قطعت زماني في عسى ولعلها ... وما)
(فزت في الأيام منك بطائل
فما آن أن ترضى علي وترحمي ... ضنى)
(جسدي فالوجد لا شك قاتلي
توسلت بالمختار في شملنا ... نبي له)
وله رحمه الله (فضل على كل فاضل
تعالى
يا ربة الحسن من بالصد أوصاكي ... حتى)

(قتلت بفرط الهجر مضناكي
ويا فتاة بفتان القوام سبت ... من في)
(الورى يا ترى بالقتل أفتاكي
لقد جننت غراما مذ رأى نظري ... في)
(النوم طيف خيال من محياكي
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد ... أضحى)
(عليلا حزينا لم يزل باكي
عذبتني بالتجني وهو يعذب لي ... فهل)
(ترى تسمحي يوما برؤياكي
إن كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا ... فالله)
(يعلم أنا ما نسيناكي
ما آن أن تعطفي جودا علي فقد ...)
(أضحى فؤادي أسيرا لحظ عيناكي
ما كنت أ حسب أن العشق فيه ضنى ...)
(ولا عذاب نفوس قبل أهواكي
حتى تولع قلبي بالغرام فما ... أمسى)
(أسيرا سوى في حسن معناكي
رقي لعبدك جودا واعطفي وذري ... ولا)
(تطيلي بحق الله جفواكي
يا هند رفقا بقلب ذاب فيك أسى ...)
(ومهجة تلفت ما هند أقساكي
رق العذول لحالي في الهوى ورثى ...)
(وأنت يا هند لا ترثي لمضناكي
والله لو مت ما أسلاك يا آملي ... ولو)
(فنيت غراما لست أنساكي

آخر
كأن فؤادي يوم سرت دليل ... يسير أمام) العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكي أرى ...) فؤادي سرى في الركب وهو عجول
وقائلة لي كيف حالك بعدنا ... لتعلم ما) هذا إليه يؤول
فقلت لها قد مت قبل ترحلي ... فمن) باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلي طال هما فأنشدت ... وما) زال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمي لم يزل مترجفا ... فقالت) وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدري فراقنا ... بيوم) وداع ما إليه سبيل
قلعت لعيني في هواك بأصبعي ... لكيلا) وقال الوأواء) أرى يوما علي ثقيل
الدمشقي عفا الله عنه
يا من نفت عني لذيذ رقادي ... مالي) ومالك قد أطلت سهادي
فبأي ذنب أم بأية حالة ... أبعدتني ولقد)

(سكنت فؤادي
وصددت عني حين قد ملك الهوى ...)
(روحي وقلبي والحشا وقيادي
ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا ... قلبي)
(أسيرا ما له من فادي
لا غرو إن قتلت عيونك مغرما ... فلكم)
(صرعت بها من الآسادي
يا من حوت كل المحاسن في الورى ...)
(والحسن منها عاكف في بادي
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه ... ودعي)
(السيوف تفر في الأغماد
وتعطفي جودا علي بقلبة ... فبميم)
(مبسمكي شفاه الصادي
ماتت أطال الله عمرك سلوتي ... ولقد)
(فنى صبري وعاش سهادي
ومن المنى لو دام لي فيك الضنى ... يا)
(حبذا لأراك من عوادي

المستطرف [جزء 2 - صفحة 384]

وأجيل منك نواظري في ناضر ... من)
(خدك المترقرق الوقاد
وأقول ما شئت اصنعي يا منيتي ... مالي)
(سواك ولو حرمت مرادي

إلا مديح المصطفى هو عمدتي ... وبه)
وقال البهازهير(سألقى الله يوم ميعادي
إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم ... أنوح)
(كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى ...)
(وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلو أم عمرو كيف بات أسيرها ... تفك)
(الأسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففي القتل راحة ... ولا أنا)
مجنون ليلى(ممنون عليه فيعتق
وقد خبروني أن تيماء منزل ... لليلى ما)
(الليل ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي ...)
(فما للنوى يرمي بليلى المراميا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة ... وقد عشت)
(دهرا لا أعد الليالياً
وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث)
(عنك النفس بالليل خاليا
إلا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا)
(فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا إذا كانت يمينا فان تكن ... شمالا)
(ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها ... اثنتين)
(صليت الضحى أم ثمانيا
خليلي لا والله لا أملك الهوى ... إذا علم)

(من أرض ليلى بداليا
خليلي لا والله لا أملك الذي ... قضى الله)
(في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلا)
(بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واش باليمامة داره ... وداري)
(بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو أنه ... يزاد لها)
(في عمرها من حياتيا
على أنني راض بأن أحمل الهوى ...)
(وأخلص منه لا علي ولا ليا
إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني ...)
(فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 385]

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى ...)
وقال آخر (وتخرس حتى لا تجيب المناديا
قالت لطيف خيال زارني ومضى م ...)
(بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ ... وقلت)
(قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق شيمته ... يا)
كمال (برد ذاك الذي قالت على كبدي

الدين بن النبيه
أما وبياض مبسمك النقي ... وسمرة)
(مسكة اللمس الشهي
ورمان من الكافور تعلو ... عليه طوابع)
(الند الندي
وقد كالقضيب إذا تثنى ... خشيت عليه)
(من ثقل الحلي
لقد أسقمت بالهجران جسمي ...)
(وأعطشني وصالك بعد ريي
إلى كم أكتم البلوى ودمعي ... يبوح)
(بمضمر السر الخفي
وكم أشكو اللاهية غرامي ... فويل)
صفي الدين الحلي (للشجي من الخلي
أبت الوصال مخافة الرقباء ... وأتتك تحت)
(مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة ... وكذا)
(الدواء يكون بعد الداء
أحيت بزورتها النفوس وطالما ... ضنت)
(بها فقضت على الأحياء
أمت بليل والنجوم كأنها ... در بباطن)
(خيمة زرقاء
أمست تعاطيني المدام وبيننا ... عتب)
(غنيت به عن الصهباء
آبت إلى جسدي لتنظر ما انتهت ... من)
(بعدها فيه يد البرحاء

ألفت به وقع الصفاح فراعها ... جزعا وما) نظرت جراح حشائي
أمصيبة منا بنبل لحاظها ... ما أخطأته) أسنة الأعداء
أعجبت مما قد رأيت وفي الحشا ...) أضعاف ما عاينت في الأعضاء
أمسي ولست بسالم من طعنة ... نجلاء) وله رحمه الله تعالى) أو من مقلة نجلاء
قفي ودعينا قبل وشك التفرق ... فما أنا) من يحيا إلى حين نلتقي
قضيت وما أودى الحمام بمهجتي ...) وشبت وما حل البياض بمفرقي
قنعت أنا بالذل في مذهب الهوى ... ولم) تفرقي بين المنعم والشقي
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى ...) ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح ...) وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زماني بالصدود وزرتني ... عشية) زمت للترحل أينقي
قضى الدهر بالتفريق فاصطبري له ...)

وقال عفا الله (ولا تذممي أفعاله وترفقي عنه
جاءت لتنظر ما أبقت من المهج ...)
(فعطرت سائر الأرجاء بالأرج
جلت علينا محيا لوجلته لنا ... في ظلمة)
(الليل أغنتنا عن السرج
حورية الخد تحمي ورد وجنتها ... بحارس)
(من نبال الغنج والدعج
جزت إساءة أفعالي بمغفرة ... فكان)
(غفرانها يغني عن الحجج
جادت لعرفانها أني المريض بها ... فما)
(علي إذا أذنبت من حرج
جست يدي لترى ما بي فقلت لها ... كفي)
(فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتني فرأيت الصبر أجمل بي ...)
(والصمت في الحب أولى من اللهج
جرات لحاظك فينا غير راحمة ... ولذة)
(الحب جور الناظر الغنج

المستطرف [جزء 2 - صفحة 387]

ابن نباتة
رقت لنا حين هم السفر بالسفر ...)
(وأقبلت في الدجى تسعى على حذر

راض الهوى قلبها القاسي فجادلنا ...)
(وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد ... شبت)
(فلم تبق من قلبي ولم تذر
رشيقة لو تراها عندما سفرت ... والبدر)
(ساه إليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر ... في)
(ظل جنحين من ليل ومن شمر
رشفت در الحميا من مقبلها ... إذ نبهتني)
(إليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوي فما نظرت ...)
(من يرشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وابدت لي سرائرها ... في)
وقال ابن (ليلة الوصل بل في غرة القمر الساعاتي
قبلتها ورشفت خمرة ريقها ... فوجدت)
(نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحني ... رضوانها)
وقال آخر (المرجو شرب المسكر
بكت للفراق وقد راعها ... بكاء المحب)
(لبعد الديار
كأن الدموع على خدها ... بقية طل على)
الوأواء الدمشقي تضمين (جلنار
قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها ... إما)
(غدا زعموا أو لا فبعد غد

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ...)
لابن نباتة (وردا وعضت على العناب بالبرد
عذولي لست أسمع منه قولا ... على)
(غيداء مثل البدر تما

المستطرف [جزء 2 - صفحة 388]

له طرف ضرير عن سناها ... ولي أذن عن)
وقال آخر (الفحشاء صما
ورب ليال في هواها سهرتها ... أراعي)
(نجوم الليل فيها إلى الفجر
حديثي عال في السهاد لأنني ... رويت)
السراج الوراق (أحاديث السهاد عن الزهر
يا لائمي في هواها ... أسرفت في اللوم)
(جهلا
(ما يعلم الشوق إلا ... ولا الصبابة إلا)
وقال آخر
وعدت أن تزور ليلا فألوت ... وأتت في)
(النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت ... كيف)
لعز الدين (صدقت أن ترى الشمس ليلا الموصلي
قد سلونا عن الغزال بخود ... ذات وجه)
(بها الجمال تفتن

ورجعنا عن التهتك فيه ... ودفعناه بالتي) وقال آخر (هي أحسن
قالت وناولتها سواكا ... ساد بفيها على) (الأراك
سواي ما ذاق طعم ريقي ... قلت لها) وقال آخر (ذاقه سواكي
سألتها أن تعيد لفظا ... قالت محب دعوه) (يعذر
حديثها سكر شهي ... واحسن السكر) ابن نباتة (المكرر
وملولة في الحب لما أن رأت ... أثر) (السقام بجسمي المنهاض

المستطرف [جزء 2 - صفحة 389]

قالت تغيرنا فقلت لها نعم ... أنا بالسقام) وقال أبو الطيب المتنبي (وأنت بالإعراض
بأبي الشموس الجانحات غواربا ...) (اللابسات من الحرير جلابيا
الناهياتعيوننا وقلوبنا ... وجناتهن) (الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييات ... الميديات) (من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا ... فوضعن)

(أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه ... من حر)
(أنفاسي فكنت الذائبا
يا حبذا المتجملون وحبذا ... واد لثمت به)
(الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا ... من)
وله أيضا من (بعد أن أنشبن في مخالبا
جملة قصيدة
ولما التقينا والنوى ورقيبنا ... غفولان)
(عنا ظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها ... ولم تر)
الشريف الرضي (قبلي ميتا يتكلم
وتميس بين مزعفر ومعصفر ... ومعنبر)
(وممسك ومصندل
هيفاء إن قال الشباب لها انهضي ...)
(قالت روادفها أقعدي وتمهلي
وإذا سألت الوصل قال جمالها ... جودي)
ابن اسرائيل (وقال دلالها لا تفعلي
وعدت بوصل والزمان مسوف ... حوراء)
(ناظرها حسام مرهف
نشوانة خصباء منهل ثغرها ... در وريقتها)
(سلاف قرقف

وتخال بين البدر منها والنقا ... غصنا)
(يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الحلف شيمة مثلها ... وعدت)
(ولكن الزمان يسوف
يا بانة قد أطلعت أغصانها ... وردا جنيا)
(باللواحظ يقطف
وغزالة يحكي الغزالة وجهها ... ويعير)
(ناظرها الحسام الأوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به ... أجفانك)
(المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق ... وسواد)
(شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا ... مالي)
ولنذكر إن شاء الله (إلى أحد سواك تشوف
تعالى في هذا الباب نبذة من ملح النظم
ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب
للشيخ شمس الدين بن الريدي
ولما نأت سلمى وشط بها النوى ...)
(وأيقنت أني بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا ... ليطفى)
(ضرام في الحشا ولهيب
وكان هيامي والهوى وصبابتي ... لمن هو)
وله في المعنى (في الأولى إلي حبيب
تلاهيت عنها في الغرام بغيرها ... وقلت)

(لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتي ... فأضرمت)
(نارا في الحشا تتلهب
فكنت كمن هو ذا غريقا بلجة ... تمسك)
وقال أيضا (بالموج الذي يتقلب
سألت القلب هل ميلي لليلى ... وهل عند)
(الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنيى ... فقلت الحب)
(فيه تقلبات
فإن الحب يهجم بعد بأس ... ويعتاد)
(المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا ... فتفضحك)
(التصابي الواردات